تعريب العلوم
سبيل عملى
للنهوض
بممارستنا
اللغوية

أ.د. محمد يونس عبد السميع الحملاوى

أستاذ هندسة الحاسبات، كلية الهندسة، جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريب العلوم سبيل عملى للنهوض بممارستنا اللغوية

أ.د. محمد يونس عبد السميع الحملاوى

أستاذ هندسة الحاسبات، كلية الهندسة، جامعة الأزهر

حائز على الجائزة الأولى فى

مسابقة جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى

اللغة العربية وكيف ننهض بها نطقاً وكتابة

من وقف المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى

هيئة قضايا الدولة؛ القاهرة

محرم ١٤٢٣هـ (مارس ٢٠٠٢م)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ص. ب ٥٦٤٨ غرب مصر الجديدة، القاهرة ١١٧٧١

تعريب العلوم سبيل عملى للنهوض بممارستنا اللغوية

الفهرس

	رقم الصفحة
ملخص	٥
١. مقدمة	١٦
٢. ممارساتنا اللغوية	١٧
٣. تعريب العلوم	٢٨
٤. التعريب قضية قومية	٣٤
• تعريب التعليم العام	٤٣
• تعريب التعليم الجامعى	٤٥
• المصطلحات	٤٩
• أمن خطوة تالية؟	٥١
٥. جزئيات منظومة تعريب التعليم	٥٣
٦. التعريب دعوة للتقدم	٥٩
٧. تعريب التعليم فى سياق التنمية	٦٢
• خريجو المدارس التجريبية ومدارس اللغات وخريجو مدارس التعليم العام العربية فى المرحلة الجامعية (دراسة على طلبة كلية الهندسة جامعة عين شمس)	٦٨
• خريجو المدارس التجريبية ومدارس اللغات وخريجو مدارس التعليم العام العربية فى المرحلة قبل الجامعية (دراسة على الطلبة الحاصلين على الشهادة الاعدادية العامة من منطقتين من مناطق محافظة القاهرة)	٧٤
• التعلم باللغات الأجنبية وتعلم اللغات الأجنبية	٧٧
٨. اللغة والثقافة	٧٨
٩. الرقم العربى ومنهجية التفكير	٨٠

- أبعاد قضية الأرقام العربية ٨١
- التاريخ ٨٣
- تجانس الأرقام العربية والغبارية مع حروف اللغة العربية وحروف لغات أخرى ٨٤
- ثبات شكل الرقم العربى وعدم ثبات شكل الرقم الغبارى ٨٥
- إتجاه كتابة الرقم ٨٥
- كفاءة الرقم ٨٦
- شبهات متوهمة ٨٧
- دراسات لغوية عن الأرقام ٩٣
- منهجية التفكير ٩٩

١٠. التعريب والقانون ١٠٠

١١. أركان قضية تعريب العلوم ١٠٣
- بعض محاور قضية التعريب ١٠٧
- توحيد المصطلحات ١٠٨
- توحيد الرموز العلمية ١٠٩
- توحيد رسم الأرقام العربية ١١٠
- تجربة الدول التى تقوم بالتدريس بالعربية فى مؤسسات التعليم العالى العربية ١١٢
- علاقة التعريب بالتنمية القومية ١١٣
- الدوافع الشخصية لعدم التعريب ١١٤
- وقفة مع النفس ١١٤
- أمن خطوة تالية؟ ١١٥

١٢. ما العمل؟ ١١٧

١٣. كلمة أ.د. محمد يونس الحملاوى فى حفل توزيع جوائز المسابقة ١٢٣

١٤. المراجع حسب ورودها فى النص ١٢٨

ملخص

كثر الحديث عن سبل النهوض بممارساتنا اللغوية التى تشير المؤشرات إلى تدنيها الملحوظ باستمرار. وكثرت محاولات الإصلاح ولكن الواقع يشير إلى أن تلك المحاولات لم تُنتج إصلاحاً. والمتتبع لتلك الجهود يمكنه أن يستنتج أنها كانت تركز على قضايا لغوية بحتة بمعزل عن جهود المجتمع التنموية ولم تحاول أن ترتبط بل تلتصق بتنمية المجتمع من الوجهات التعليمية والعلمية والإنتاجية والثقافية. والمتتبع كذلك لمسيرة التنمية فى المجتمع يجد أن معدلات التنمية المتدنية تحتاج إلى وعاء يتفاعل من خلاله جميع أفراد المجتمع. ومن هنا كان الربط بين احتياجات المجتمع ومحاولات إصلاح لغته من خلال علاقة تنموية تضيف لمختلف لَبِنات المجتمع، وذلك من خلال منظومة تعريب العلوم التى ستفضى إلى تعريب الأمة بكل مقوماتها.

تستعرض الدراسة الممارسات اللغوية فى المجتمع من حيث استعمال اللغة فى الحياة العامة وفى التعليم وفى الثقافة مبيناً تهميشها على مدار عقود عديدة بدءً من الاحتلال البريطانى لمصر وحتى وقتنا الحاضر. ويبين المحاولات الصريحة لهدم اللغة العربية بدءً من عزلها عن التعليم ومروراً بمحاولات تغيير شكل الحرف العربى وحتى وقتنا الحالى الذى تجد فيه محاولات تغيير رسم الرقم العربى آذاناً صاغية من بعض من يتعامل بالثقافة. وتوضح الدراسة كيف أمكن الترويج لأفكار تقويض حروف وأرقام اللغة العربية من خلال جهات قومية تتعامل فى الثقافة وكيف يمكن بالتمحيص وبالبحث العلمى التصدى لتلك المحاولات مبيناً محاولات إحياء لغات قوم آخرين ويقظتهم فى التعامل مع مفردات لغتهم فى مقابل تهاوننا الشديد فى قبول أفكار ومفاهيم تعارض صحيح فكرنا إن نحن تعاملنا معها بدقة. وتركز الدراسة على تعامل المؤسسات

القومية والرسمية فى قضايا المصطلح وترويجه من خلال مؤسسات الإنتاج والمؤسسات العامة.

ثم تعرض الدراسة قضية تعريب العلوم بمختلف أبعادها ويبين أنه قضية محورية تستنهض همة الأمة بكاملها حتى يُكتَب لها النجاح. ويبين أن القضية لم يتم طرحها بصورة متكاملة على أغلب من يتعاملون فى قطاع التعليم وهو أمر يتطلب مضاعفة الجهد لتحقيق هدف تعريب التعليم. كما توضح الدراسة أن الترجمة جزء لا يتجزأ من قضية التعريب سواء فى مجال ما يتم تدريسه فى المعاهد التعليمية أم فى مناشط الثقافة المختلفة. وتوضح الدراسة أن توحيد لغة المجتمع قضية محورية فى تنمية المجتمع وهو أمر لا يمكن له أن يتأتى إلا من خلال توحيد لغة التعليم والثقافة فى المجتمع.

بدراسة قضية تعريب التعليم العام وتعريب التعليم الجامعى يتبين بالأرقام أن التفوق من نصيب الدراسة باللغة العربية. فكفاءة التعليم ترتبط بالتدريس باللغة القومية. وتشير الدراسة إلى العلاقات المتداخلة بين لغة التعليم ومنظومة عمل المجتمع فى إطار التنمية. وتعالج الدراسة قضية توطين التقنيات باعتبارها مدخل حقيقى لتنمية المجتمع ومن ثّمَّ تشير الدراسة إلى علاقة الهندسة بمنظومة التنمية وأن تفاعل أعمال المجتمع التنموية لابد من أن يستوعبها وعاء ثقافى واحد تصب فيه مختلف جهوده.

تعتبر قضية توطين التقنيات أحد أساسيات دفع المجتمع إلى الأمام، وهى قضية تتفاعل فيها عدة عوامل من أهمها التعليم. وتناقش الدراسة تأثير لغة التعليم على كفاءة العملية التعليمية وتخلص إلى أن الكفاءة مرتبطة بالتعليم

باللغة القومية (اللغة العربية) سواء فى التعليم الجامعى أم فى التعليم قبل الجامعى. كما تخلص الدراسة إلى أن ناتج العملية التعليمية المتدنى على مستوى التعليم الأساسى يستلزم جهداً مضاعفاً من مختلف أفراد المجتمع حال التعامل مع منظومة الإنتاج كى تؤدى تلك المنظومة عملها بفاعلية. وتشير الدراسة إلى أن التعليم بلغة أجنبية ذا مردود سلبى بينما تعليم اللغات الأجنبية ذا مردود إيجابى. كما تخلص الدراسة إلى أن تطوير أعمال المجتمع سواء فى حقول الإنتاج والخدمات أم فى المعاهد والكليات التعليمية يستلزم وجود لغة واحدة لجميع تلك الأطراف التى تتداخل فيما بينها ومع المجتمع الذى يُكَوِّن المدد الدائم للمنتجات والأعمال التى يستهدفها المجتمع. لقد بات تفعيل مختلف أعمال المجتمع التنموية واستمرارها فى الاحتفاظ بريادتها للمناشط المجتمعية من خلال التصاقها بالمجتمع من أساسيات تطوير المجتمع ذاته. ومن ثَمَّ تدعو الدراسة إلى أن تكون لغة الربط بين مختلف مناشط المجتمع هى اللغة العربية.

بدراسة تأثير لغة التعليم على نتائج بعض طلاب كلية الهندسة جامعة عين شمس وبعض طلاب المرحلة الإعدادية فى التعليم العام، يمكننا استنتاج أن المدارس العربية تعطى نتيجة أفضل فى الدرجات الحاصل عليها خريجيها من مدارس اللغات بصورة ملحوظة. كما أن تتبع التحصيل العلمى لخريجى المدارس العربية فى المرحلة الجامعية يشير إلى تميز خريجى تلك المدارس على نظرائهم خريجى مدارس اللغات بصورة ملحوظة أيضاً، وهو أمر يضع علامات استفهام عديدة على جدوى إنشاء والتوسع فى مدارس اللغات والمدارس التجريبية وعلى الهدف من إنشائها؟ بل ويجعلنا نتساءل عن جدوى الانفاق على هذه النوعية من المدارس؟

إن النهوض بقضية التعليم لابد وأن ينظر لمختلف جوانب العملية التعليمية بصورة جدية. وليت الأمر كما يتبين من الدراسة توقف عند إهدار الأموال التى تنفق على نوعية من التعليم لا مردود تحصيلى لها بجانب سلبياتها فى العوامل الأخرى التى تشكل جوانب قضية التعليم كالجوانب القومية والاجتماعية وغيرها، بل لقد تعدى الأمر ذلك عندما تم توجيه جهد طلبة مدارس اللغات بعيداً عن المحتوى العلمى فى اتجاه تعليم اللغات على حساب المضمون العلمى للتعليم ذاته. وهذا الذى خلصنا إليه لا يدع مجالا للشك فى أن للتدريس باللغة العربية كلغة للتدريس تأثيراً إيجابياً على المحتوى العلمى لمختلف المواد التى يتم تدريسها. وذلك بجانب كون اللغة مكوناً أساسياً فى المادة العلمية ذاتها. وهو ما اتضح بالنسبة للحاصلين على الشهادة الإعدادية العامة وكذلك بالنسبة لطلبة كلية الهندسة جامعة عين شمس. وهذه فى ذاتها دعوة للقيام بدراسات مماثلة على الكليات الأخرى تدعيما لهذه النتائج التى يشير إليها سلوك مختلف الحضارات قديماً وحديثاً.

ومن المفيد التأكيد على أن المحتوى العلمى؛ بما فيه اللغة القومية؛ لما يتم تدريسه هدف فى حد ذاته أما المحتوى اللغوى الأجنبى فوسيلة لنقل المعارف ونحن إن وضعناه فى مكانه الطبيعى فلسوف ننهض بحال التعليم عندنا أما ما يتم حالياً من إهدار للمحتوى العلمى على حساب المحتوى اللغوى الأجنبى فهو أمر سلبى كما اتضح من نتائج الدراسات التى أجريت على طلبة المرحلة الإعدادية. إن الأرقام التى تشملها الدراسة فى هذا السياق لتلفت النظر الى الفرق ما بين المحتوى العلمى والمحتوى اللغوى، وفى لفت النظر الى خطأ مقولة أن مدارس اللغات تعطى نتائج أفضل. إنها لدعوة لمختلف الزملاء أعضاء هيئات التدريس فى مختلف الكليات أن يدرسوا ويفندوا المقولات

المغلوطة التى ترددها أجهزة الأعلام صباح مساء من أن الطريق الى التفوق يمر من خلال بوابة مدارس اللغات والمدارس التجريبية، وهى مقولات بتنا نسمعها وللأسف داخل الجامعة التى عليها مناط بناء الأمم، دون أن نتوقف عندها ونتفكر فيها؛ بل إنها وللأسف صارت من المسلمات عند البعض الذى لابد وأن يكون له وقفة مع الأرقام! وأعتقد أن الأمر يستحق الوقوف أمامه ليس فقط من باب الوطنية؛ وإن كانت الوطنية مقوم مهم فى بناء الأمم ولكن إضافة إليه من باب وجودنا الحضارى ذاته وكذلك من باب كفاءة ما تقوم الجامعة بتدريسه لطلابها.

ومن المفيد بيان نتائج الدراسات المقارنة على الطلبة الذين يدرسون بلغتهم العربية والطلبة الذين يدرسون المواد العلمية بلغة أجنبية. فمن خلال تحييد مختلف العوامل المؤثرة على تعليم مجموعة كاملة من طلاب المرحلة الإعدادية فى إحدى مناطق القاهرة لأكثر من عام دراسى من خلال نتائج مدارس موحدة الإدارة تضم قسم لتدريس المواد العلمية (العلوم والرياضيات) باللغة العربية وهو ما يسمى بالمدارس العربية، وقسم يتم فيه تدريس هاتين المادتين باللغة الأجنبية وهو ما يسمى بمدارس اللغات (وتشمل المدارس التجريبية)، يمكن استنباط تأثير عامل اللغة على نتائج الطلاب فى الشهادة الإعدادية العامة. وتبحث الدراسة عن العلاقة بين مستوى الطلاب العلمى فى بعض المواد التى قاموا بدراستها فى الشهادة الإعدادية وبين لغة تدريس المواد العلمية لنجد أن طلبة المدارس العربية حققوا تفوقاً فى المواد العلمية التى درسوها وهى مواد الدراسات والعلوم والرياضة واللغة العربية عدا مادة اللغة الأجنبية فلقد تفوقت مجموعة مدارس اللغات فيها فقط بدرجة ملحوظة. وبدراسة حالات التفوق فى كلا المجموعتين تبين أنه لم يحصل أى من طلاب مجموعة مدارس اللغات

على الدرجات النهائية فى المواد العلمية عدا مواد اللغات (الدراسات والرياضيات والعلوم) بينما حصل بعض طلبة مجموعة المدارس العربية على الدرجات النهائية فى كل من المواد الثلاث، كما أن نسب المتفوقين الحاصلين على مجموع عال فى ثلاث مراتب للتفوق (٩٥%،٩٠%،٨٥%) فى تلك المواد جاء لصالح مجموعة المدارس العربية. وعلى حين أن المجموع الكلى فى مراتب التفوق الثلاث جاء لصالح مجموعة مدارس اللغات بنسبة ٦% وبنسبة ١% فى المرتبتين ٩٥%، ٨٥% فى حين جاء فى صالح المدارس العربية فى المرتبة الثالثة بنسبة ١٧%. وبتحليل تلك النتيجة تبين أن سبب تقارب مستوى مجموعة مدارس اللغات لمجموعة المدارس العربية فى مرتبتين مرده الارتفاع الملحوظ فى درجات مادة اللغة الأجنبية ولهذا تم حساب مجموع الدرجات فى المواد مطروحاً منها درجة مادة اللغة الأجنبية فلم يتبق فى مرتبة ال٩٥% أى من طلبة مجموعة مدارس اللغات، كما تغيرت حالة ٥٠% من مجموعة مدارس اللغات الواقعة داخل مراتب التفوق بالسالب. كما خرج ٣٠% من مجموعة طلبة مدارس اللغات الحاصلين على مجموع كلى قدره ٨٥% فما فوق، خارج نطاق مراتب التفوق الثلاث. أما بالنسبة لمجموعة المدارس العربية فلقد كان التغيير بنسبة ٧,٦%للسالب و٥,٢% بالموجب داخل نطاق مراتب التفوق ولم يخرج خارج النطاق أى طالب. وهذا الأمر يثير تساؤلات عن ظروف تنافس الطلاب فى جميع المواد بينما يحسم موقف مادة معينة نسبياً بعض المنافسة.

ومن ثم يتبين أن أداء مجموعة المدارس العربية فى امتحان الشهادة الإعدادية أفضل من أداء مجموعة مدارس اللغات. ومن المنطقى؛ من ثَمَّ؛ أن تدعو الدراسة إلى أن يتم تدريس جميع المواد العلمية باللغة العربية فى جميع

السنوات التعليمية وحتى نهاية المرحلة الإعدادية. كما تدعو الدراسة إلى إلغاء مدارس اللغات الخاصة والتجريبية حيث أنها تعطى مردوداً سلبياً بالنسبة لتحصيل الطلاب رغم ما ينفق فيها من أموال وتعتبر بالتالى استنزافاً للموارد المادية لكل من القطاع التعليمى وأولياء الأمور. وتدعو الدراسة إلى التصدى بصورة جدية لمشاكل المدارس العربية وتدعيمها بدلاً من محاولة التغاضى عن سلبياتها وخلق جبهة أخرى هى مدارس اللغات يظن أن بها علاجاً لمشاكل التعليم على غير وجه الحقيقة حيث يتبين سلبياتها العديدة على مستوى التفوق وعلى العديد من الأمور الأخرى كالهوية واللغة القومية.

أما الدراسة الأخرى التى تتعلق بإحدى كليات الهندسة فمن خلال دراسة نتائج المجموعة المتفوقة من طلبة دفعة واحدة فى السنة الإعدادية بالكلية وربط ذلك بالخلفية التعليمية لهؤلاء الطلاب فى المرحلة قبل الجامعية سواء فى مواد العلوم أم الرياضيات أم اللغات، يمكننا استنباط مؤشرات لسلوك هؤلاء الطلاب العلمى فى المرحلة الجامعية ذاتها. وتبحث الدراسة عن العلاقة بين مستوى الطلاب العلمى فى بعض المواد التى قاموا بدراستها فى الثانوية العامة وبين مستواهم العلمى فى بعض المواد ذات الصلة الوثيقة بتلك المواد وغيرها فى المرحلة الجامعية. وفى تلك المجموعة كان المتوسط العلمى لطلبة المدارس العربية (التى تدرس المواد العلمية والرياضيات باللغة العربية) فى تلك المجموعة بالكامل متقارب مع متوسط نظرائهم من خريجى مدارس اللغات (التى تدرس المواد العلمية والرياضيات بلغة أجنبية سواء خاصة أم تجريبية). وهنا نشير إلى التفوق الملحوظ فى مادة اللغة الأجنبية لمجموعة مدارس اللغات وهو أمر يثير تساؤلات عن ظروف تنافس الطلاب فى جميع المواد بينما يحسم موقف مادة معينة نسبياً بعض المنافسة. ورغم ذلك تشير

المقارنات إلى أن مجموعة طلبة المدارس العربية أمكنها تحقيق معدل تفوق نسبى أفضل فى جميع المواد ذات الصلة بما تم دراسته فى المرحلة الثانوية، وذلك عن نتائجهم فى الشهادة الثانوية العامة والتى سبق لهم دراستها باللغة العربية. وتحقق ذلك فى مواد الرياضيات ١،٢ والفيزياء والميكانيكا ١ والكيمياء الهندسية بصرف النظر عن لغة التدريس فى المرحلة الجامعية، وذلك عدا مادة اللغة الإنجليزية التى استمر التدريس فيها باللغة الإنجليزية فى المرحلة الجامعية. كما تشير النتائج إلى أنه برغم التفوق النسبى لمجموعة طلبة مدارس اللغات فى الثانوية العامة فى بعض المواد إلا أن مجموعة المدارس العربية قد حققت تفوقاً عليها فى مادتى الرياضيات ١،٢ فى المرحلة الإعدادية والتى لها ارتباط بمادة رياضيات ٢ فى الثانوية العامة. ويتضح من الدراسة كذلك أن الفرق بين متوسطى المجموع الكلى لنتائج المجموعتين فى نهاية السنة الإعدادية قد زاد محققاً تفوقاً نسبياً أعلى لمجموعة المدارس العربية. كما تشير النتائج إلى أن مجموعة المدارس العربية قد حققت تفوقاً أكبر فى الحفاظ على مركز متفوق فى مواد الفيزياء والرياضيات ١،٢ والكيمياء الهندسية، وذلك أخذاً كمرجع المواد التى تصب فى نفس العلم فى المرحلة الثانوية؛ وذلك إضافة إلى أن التدنى النسبى لمستوى مجموعة طلبة مدارس اللغات كان متسارعاً عن نظيره فى مجموعة المدارس العربية. ومن ثَمَّ يتبين أن أداء مجموعة طلاب المدارس العربية فى المرحلة الجامعية أفضل من أداء مجموعة طلاب مدارس اللغات بالنسبة للمجموعة الكاملة المتميزة موضع الدراسة حيث استمر تفوق ٨٠% من طلاب مجموعة المدارس العربية فى مادة الكيمياء الهندسية فى مقابل ٧٤% لمجموعة طلاب مدارس اللغات، كما استمر تفوق ٩٣% من طلاب مجموعة المدارس العربية فى مادتى الرياضة فى مقابل ٧١% من طلاب مجموعة مدارس اللغات. ومن المنطقى؛ من ثَمَّ؛

أن تدعو الدراسة إلى أن يتم تدريس المواد العلمية باللغة العربية سواء فى المرحلة الثانوية أم فى المرحلة الجامعية، بجانب الاهتمام المتزايد بمجموعة اللغات العربية والأجنبية حتى تتسارع معدلات التفوق فى المرحلة الجامعية

ثم تناقش الدراسة قضية الأرقام العربية باعتبارها قضية ثقافية فى المقام الأول وتشير إلى مسلك سلبى عند البعض من التشايع لما يقوله الغرب دون تمحيص. كما تشير إلى نقطة مهمة فى قضية المصطلحات التى لابد من فهمها فى سياقها المجتمعى وليس على إطلاقها. وتبدأ الدراسة بعرض الأصوات التى تنادى بنبذ رقمنا العربى المشرقى الأصيل (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠) لصالح الرقم الغبارى المستعمل فى أوروبا (0123456789) وهو ما يدعو إلى دراسة أسباب ذلك وعلاقته بلغتنا العربية. ومن الإنصاف أن نشير إلى أن الكثيرين قد تلقفوا هذه الدعوة بحسن نية، ومن ثم بات على البعض واجب تجاه لغتهم وهويتهم أن يتفحصوا الأمر ويتثبتوا منه ليكتشفوا أن مسيرة الدعوة إلى اقتلاع أرقامنا العربية المشرقية المستعملة فى مصر ومشرقها قد استمرت وبلا هوادة منذ أكثر من أربعين عاماً وحتى الآن، استناداً إلى فهم لمقولة الدارسين الأوربيين عن الأرقام تشير إلى نظام الرقم العربى ظن البعض أنها تشير إلى شكل الرقم. فالنظام العربى نظام عشرى يتميز باكتساب الشكل الواحد للرقم المفرد من الصفر وحتى تسعة قيمتين، إحداهما من رسمه والأخرى من موضعه. ومن ثم أفضى هذا النظام القائم على العشرة كأساس للعد، إلى الاقتصار على عشرة أشكال فقط تتكون منها جميع الأعداد مهما كبرت أو صغرت، وبالتالى فلا احتياج لأن نضع رمزاً للعشرة وآخر للمائة ولغيرها كما فى جميع اللغات القديمة. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن نظام الرقم العربى يحمل فى طياته سمة اللغة العربية من حيث اتجاهها من اليمين إلى الشمال، حيث

التدرج من الآحاد إلى العشرات وهكذا فى نفس اتجاه الكتابة العربية. وحينما ندرس التباين بين الشكلين العربى المشرقى الأصيل والشكل الآخر الغبارى نجد أن تسعة من الأشكال العشرة للأرقام العربية الأصيلة تكتب من اليمين إلى الشمال بينما يزيد فى الأرقام الغبارية عدد الأرقام التى تكتب من الشمال إلى اليمين؛ الذى هو نفس اتجاه كتابة اللغتين اللاتينية والهندية؛ عن مثيلاتها فى الأرقام العربية الأصيلة.

ولقد تم عرض نتائج الدراسات الهندسية والتاريخية على مجموعتى الأرقام المشرقية العربية الأصيلة ومجموعة الأرقام الغربية وكلها تؤكد عروبة أرقامنا العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠). كما تم دحض الشبهات المتوهمة فى قضية الأرقام حيث يتم تصوير بعض مفردات منظومة الأرقام العربية الأصيلة على أنها مشكلة تبحث عن حل؛ فلقد صور البعض الصفر العربى على أنه مشكل؛ متناسين وجود نفس الرمز؛ العلامة العشرية؛ بصورة أقل وضوحاً فى الأرقام المستعملة فى الغرب. كما أشارت الدراسات إلى أن أرقامنا المستعملة فى مصر أكفأ من الأرقام الغبارية حيث أن درجة تشابه الأرقام الغبارية أعلى بالنسبة لبعضها البعض. فهل لنا أن نترك الأكفأ ونتحول إلى الأسوأ؟ كما أشارت دراسات أخرى إلى أن أرقامنا العربية الأصيلة متجانسة فى ذاتها ومتجانسة كذلك مع حروف اللغة العربية أما الأرقام الغبارية فغير متجانسة فى ذاتها وغير متجانسة مع حروف اللغة العربية بل هى أكثر تجانساً مع الحروف الهندية واللاتينية. وهذا يعنى أن الأرقام العربية المشرقة وليدة حضارة واحدة هى الحضارة العربية بينما الأرقام الغبارية والتى تطورت على ثلاث مراحل منذ نشأتها حتى وصلت إلى صورتها الحالية وليدة أكثر من حضارة منها الحضارة العربية.

لقد استند كثير ممن تشايعوا للأرقام الغبارية من واقع الوثائق الرسمية أن هذه الأرقام (ويقصدون الغبارية) عربية الأصل ومازالت تحمل فى أوروبا اسم الأرقام العربية، وهو أمر يعنى فقط أنهم عرفوا تلك المنظومة التى اخترعها العرب من خلال عرب الأندلس (أسبانيا حالياً) كما يعنى أن هذه المنظومة عربية فى مقابل الأرقام الرومانية التى لفظوها لعقمها. ومن الجدير بالذكر أنه لم توافق أية جهة لغوية عربية على نبذ أرقامنا العربية المستعملة فى مصر ومشارقها منذ عام ٢٠٤ هجرية بلا انقطاع وإلى الآن، والتى كتب بها أكثر من تسعين فى المائة من تراثنا العلمى.

وتتساءل الدراسة ألا يُكَوِّن الرقم والحرف والرمز مفردات لغتنا التى هى مناط عزتنا ووعاء حضارتنا التى نجاهد لبنائها؟ أَلِى من ثَمَّ أن أهيب بالجميع وخاصة بالأفراد أن يتبنوا قضية الرقم العربى المشرقى الحقيقى، بل ويُعلموا غيرهم بحقيقته متذكرين أن جل الدول العربية التى تستعمل الأرقام الغبارية الآن ما كانت تستعملها إبان فترة الاحتلال الأجنبى لأراضيها وقت أن كان الحفاظ على الهوية يمثل جزءً من الكيان الوطنى؟! ألنا أن نتذكر أن محاولات نبذ الحرف العربى مستمرة منذ أكثر من نصف قرن بلا هوادة وأن إحدى دول جامعة الدول العربية وللأسف قد نبذت الحرف العربى واستبدلت الحرف اللاتينى به؟! كما تبين الدراسة جهود تقييس وتنميط شكل الرقم العربى فى المرحلة الحالية.

ثم تناقش الدراسة بعض محاور قضية التعريب ومنها قضية المصطلحات وإرجاع الرموز العلمية إلى سابق عهدها بالعربية وتوحيد رسم الرقم العربى وتجربة الدول التى تقوم بالتدريس بالعربية فى مؤسسات التعليم العالى العربية

وعلاقة التعريب بالتنمية القومية والدوافع الشخصية لعدم التعريب عند البعض واستنهاض الهمم لدفع قضية التعريب المحرك الأساسى لقضية التنمية وإصلاح الممارسات اللغوية فى المجتمع؛ إلى الأمام من خلال حل عملى يستنفر طاقات المجتمع فى عمل ايجابى يضيف لرصيد الأمة فى مختلف الاتجاهات.

١ .مقدمة:

يمكن للمتتبع لمسيرة الممارسات اللغوية فى مصر وفى مختلف بلاد الوطن العربى أن يجد تدنٍ واضح فى مستوى الممارسات اللغوية فيما يخص اللغة العربية التى تشكل الوعاء الثقافى لحضارة الأمة. وكثيراً ما تسير التوجهات فى اتجاه تنحية اللغة العربية عن ممارساتنا فى أمورنا الحياتية بتركيز لا يترك مكاناً لدراسة وضع اللغة فى منظومة المجتمع. ولكن اللغة ليست عنصراً متفرداً فى المجتمع منعزل عن حياة المجتمع ذاته، ومن ثَمَّ فإن دراسة وضع اللغة فى المجتمع يَحسن أن تأخذ فى اعتبارها الجوانب الأخرى لنشاطات المجتمع ومنها وضع اللغات الأخرى المستخدمة فى بعض أوجه تلك النشاطات حتى تتشكل خريطة اللغة فى المجتمع من أعمال وتفاعلات وليس من أقوال وتوجيهات. هذه النظرة المنظومية للأمور توظف اللغة فى المجتمع بصورة تعظم ناتج أعمال المجتمع وتقوى مختلف لَبِناته ومنها اللغة ذاتها، ومن ثّمَّ يمكن أن تفرز حلاً عملياً لتدهور الممارسات اللغوية فى المجتمع العربى. وفى سبيل هذا فإن بحث قضية تعريب العلوم وعلاقتها بتصحيح الممارسات اللغوية والثقافية فى المجتمع أصبح جد مطلوب حتى لا تذهب محاولات اصلاح الممارسات اللغوية فى المجتمع

أدراج الرياح. وتركز الدراسة على الواقع المصرى بصفة أساسية وإن تشابهت المقدمات والنتائج مع العديد من الدول العربية الأخرى.

٢ .ممارساتنا اللغوية:

هل لنا من نظرة محايدة(؟!) للغتنا بدلاً من النظرة الدونية لمقوماتنا ومنها لغتنا! إننى أربأ بنفسى عن أن أتعصب للغتى العربية التى لا نسق منطقى فيها مثلما نجده فى الفرنسية حيث ينطق أهلها الرقم ٩٤ فيقولون ما ترجمته أربع عشرينات وعشرة وأربعة أما نسقنا غير المنطقى فيقول أربعة وتسعون فى نفس اتجاه الكتابة العربية! إننى لا أرى أى سبب فى تحزبنا للغتنا العربية وفيها ما فيها من كلمات عجم سمعنا عن التمتع بعذب رنينها، لدرجة جعلت البعض يتساءل عما فى لغتنا من نهج منطقى! لإن تحزبنا للغتنا فنحن متعصبون ولإن تَعَصَبنا للغة المحتل فنحن أصحاب حضارة هى منَّا براء! أهذا هو النهج الذى يُراد لنا أن نسلكه؟ هل من مُتَبِع؟ أيصلح هذا النهج وهذا المنهج لتقييم مختلف مناحى حياتنا وأنشطتنا ولنعرف من هو صديقنا من عدونا؟ ألا يأتى المنهج قبل الطريق حتى لا نسلك صحراء التيه ونعود بخفى حنين؟ هلا شخَّصنا الداء قبل الدواء. ولإن صعب على العديدين أن يُقَيِموا مواقف كثير من الأفراد لغياب المقياس فإن إدراج اللغة كعنصر تقييم يمكن أن يحل هذا الالتباس ويساعدنا على تشخيص يربط القول بالفعل من خلال عمل يومى بل عمل مستمر ينطق به لساننا صباح مساء، عمل ينسكب فى أقوال وأفعال تنضح بحقيقة ما فى أنفسنا. ولإن صَعُبَ على البعض هذا ووصموا توجهنا هذا بالجمود فليقدموا لنا بديلاً سوى أن يكون هذا البديل لباس المحتل.

أليس فى إصلاح حال اللغة إصلاح للمجتمع؟ أليس فى هذا النهج تحريك لمياه المجتمع الآسنة؟ ولكنها جسارة التغيير والقدوة بل قل الريادة التى ستدفع الجميع للنهوض بمجتمعنا إلى مكان يستحقه وطال اشتياقنا إليه. اللغة القومية بكل المقاييس عنصر مهم فى إصلاح التعليم الذى هو عنصر مهم فى إصلاح المجتمع ككل. ولنا فيما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية المثلُ حينما سبقها الاتحاد السوفيتى فى ارتياد الفضاء فكان ما كان من الإشارة إلى مكمن الخطر وهو التعليم وكان ما كان من البحث فى هذا المجال لنجد اللغة أحد محاور التنمية والاهتمام المنوط بها دفع الأمة إلى الأمام تقنياً.

ما نفتقده فى الكثير من أمورنا هو مطابقة القول للفعل. فعلى صعيد المؤسسات التى ترفع شعار اللغة العربية نجد الأخطاء اللغوية تفوح من أعمالها، تماماً مثلما نجد نفس الشىء فى ممارسات المؤسسات التى ترفع شعار الثقافة القومية والمؤسسات التى ترفع لواء القومية؛ لدرجة تجعلنا نتساءل أية قومية وأية ثقافة نتحدث عنها إن نحن أسقطنا عنصر اللغة العربية منها؟ فعلى لافتات بعض أكبر الهيئات القومية فى مصر نجد أن اسم المؤسسة قد كُتب بصورة خاطئة إملائياً! وعلى الصعيد القومى قصرت اللغة العربية والتى هى أول لغة تستعمل الرموز العلمية[1] عن توليد اسم مختصر يرمز للمؤسسة فنراهم ينحتون اسمها من الحروف الأولى لترجمة اسمها بالإنجليزية! وما زال الأمر يسبب لى حيرة عن أى ثقافة تتحدث تلك

---

١ محمد يونس الحملاوى؛ الخوارزمى مؤسس علم الجبر؛ مجلة منبر الإسلام؛ القاهرة؛ السنة ٥٧؛ العدد ٧؛ رجب ١٤١٩هـ نوفمبر ١٩٩٨م

المؤسسة وقد آلت على نفسها أن تروج للصورة الغربية للرقم على حساب رقمنا العربى الأصيل والذى هو جزء من مكونات لغتنا؟

أين مقياس المنهجية فى التفكير إن نحن عارضنا قسراً وعمداً قرارات اتحاد المجامع اللغوية العربية وروجنا لصورة غير عربية من الأرقام لمجرد أن الغرب يشير إلى تلك الصورة بأنها عربية بلا دراسة علمية؟ ثم أين الدقة العلمية فى هذا السلوك؟ أليس من المنطقى أن تكون أفعالنا قدوة قبل أن نطالب الآخرين بالتمسك بقيمنا العربية؟ أليس من المنطقى أن نروج للثابت والمستقر من هويتنا التى تحتل حروفنا العربية وأرقامنا العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠) منها أكثر من إثنى عشر قرناً من الزمان، بدلاً من أن نستقطع من تلك الوحدة أكثر من ربعها ثم ندخل الحلبة ونحن نعلم علمياً أننا بهذا الوضع ندخل الحلبة برجل واحدة وبهذا فإن خسارتنا مؤكدةٌ؟ هل ياترى نحن نكرر بصورة تكاد تكون متطابقة ما نهجته تركيا فى عشرينيات القرن الميلادى المنصرم من نبذ للرقم العربى تلاه نبذ للحرف العربى؟!

من اليسير أن نلاحظ أن اللافتات التى تضعها مؤسساتنا القومية على صدرها وكتابات وإعلانات تلك المؤسسات فى الصحف تنأى بنفسها أن تتوشح بوشاح العربية ثم تحدث الناس عن التنمية من خلال لغة أجنبية ثم ترغب فى أن يكون لها الريادة. هيهات هيهات أنَّى يكون لها هذا وهى منذ الوهلة الأولى تخالف صريح القانون الذى يحظر تلك الأفعال[٢]. وفى معرض مخالفاتنا لصريح الدستور نجد أسماء مؤسساتنا القومية حتى فى فترة المد الثورى فى

---

٢ القانون ١١٥ لسنة ١٩٥٨م بوجوب استعمال اللغة العربية فى المكاتبات واللافتات

ستينيات القرن الميلادى المنصرم نتخذ أسماء مؤسساتنا الإنتاجية من ترجمة أسمائها إلى اللغات الأجنبية[٣]. ومازالت المؤسسات الحكومية للأسف تأخذ نفس النهج حتى يومنا هذا. وها نحن نجد الممارسات فى لافتات الطرق على سبيل المثال تتجاهل أساسيات الحرف العربى بجانب الأخطاء الإملائية، فلا الصاد بسنة ولا الهمزة لها اعتبار فى كثير من تلك اللافتات. توجد بدايات محاولات لتصحيح تلك الممارسات وتقييس الحرف العربى والرقم العربى ولكن هل ستستجيب مؤسساتنا التى ترفع شعار العربية وشعار القومية لهذا، إن نحن فرضناه بقوة القانون؟

وعلى الجانب المقابل نجد أنه فى عام ١٩٢٥م أنشأت جماعة ألمانية فى حيفا معهد التخنيوم (قبل إنشاء اسرائيل) وثارت مناقشات وقتها حول لغة التعليم والبحث فى المعهد الوليد ولم تكن العبرية قد استعادت حياتها بعد موتها قروناً وكانت النصرة للعبرية[٤]! ورغم هذا وفى عام ١٩٤٤م كانوا يبحثون فى مجمع اللغة العربية استبدال الحرف اللاتينى بالحرف العربى. واستكمالاً لنفس النهج على جانب المصطلح مازال إعلامنا يستعمل كلمة مستوطنات على كيانات العدو الصهيونى، وهى كلمة مشتقة من كلمة وطن ومن التوطين متناسين المشادة التى حدثت بين بن جوريون وبعض مساعديه الذين كانوا يريدون إطلاق كلمة مستعمرة على تلك الكيانات ولكنه أصر على أن يطلق عليها كلمة مستوطنة بالعبرية تأكيداً للمعنى. وها نحن لا نهتم ولا نطلق عليها ثكنة بل مستوطنة! ونطلق على جيش إسرائيل جيش الدفاع

---

٣ محمد يونس الحملاوى؛ نحو إطلالة على بعض جوانب قضية التعريب؛ سلسلة كتاب قضايا فكرية؛ الكتاب ١٧، ١٨ (لغتنا العربية فى معركة الحضارة)؛ القاهرة؛ مايو ١٩٩٧م

٤ محمد يونس الحملاوى؛ تعريب العلوم والثقافة؛ منتدى المثقف العربى؛ القاهرة؛ ٥ أغسطس ٢٠٠١م

الإسرائيلى ونتحدث عن الاستعمار وليس عن الاحتلال[٥]. وهاكم مثال آخر فعندما تولى البريطانيون الانتداب على فلسطين ١٩٢٠م أصدروا عملة كتب عليها كلمة فلسطين بالعربية وبالإنجليزية وعلى الفور ثار بن يهودا أحد مؤسسى إسرائيل قائلاً إنها لإهانة قومية أن تكون العبرية فى منزلة دون منزلة الإنجليزية والعربية (ولم تكن إسرائيل قد وُلِدت بعد) وكتب إلى المندوب السامى البريطانى، وكانت النتيجة أن كُتِبَ على العملة أرض إسرائيل بجانب فلسطين.

تأتى قضية المصطلحات فى ممارساتنا اللغوية والثقافية لتطرح أهميتها الوظيفية، أوظيفتها تقريب المعنى وفك عجمته أم ماذا؟! كلمة تليفون كلمة ذات مقطعين بالإنجليزية، وهى تقرب المعنى للمتلقى الإنجليزى ولكنها لا تقرب المعنى للمتحدث بالعربية بل تجعله مبهماً عوضاً عن الدلالة على الصوت والبعد فى آن واحد الذى نجده فى كلمة هاتف، وكذلك لفظ كمبيوتر فهو مبهم لا يدل على وظيفة ذلك الجهاز الذى يقوم فى الأساس على الحساب والذى لم يشع عنه أنه حاسوب. وفى محض تناولنا لقضية المصطلح لابد من أن نشير إلى أن ترجمة المصطلحات تعطينا فرصة ثمينة لتقريب المعانى والمفاهيم لذهن المتلقى ولكننا نلفظها بلا سبب!

---

٥ محمد يونس الحملاوى ؛ أزمة المصطلح فى الإعلام العلمى؛ الدورة التدريبية للمحررين العلميين العرب؛ القاهرة؛ ٣١ مارس – ٤ أبريل ٢٠٠١م

ولننظر إلى حال التعليم باللغات الأجنبية فى مصر أهو كارثة لغوية فقط أم أنه كارثة تنموية أيضاً؟ تشهد مصر منذ عقود طويلة ظاهرة التعليم باللغات الأجنبية فى مرحلة التعليم قبل الجامعى فى مدارس الإرساليات الأجنبية على استحياء. كما تشهد نفس الظاهرة فى مرحلة التعليم الجامعى بصورة أكبر وأشد منذ الاحتلال البريطانى لمصر. وتنتشر الظاهرة وتتعاظم يوماً بعد يوم بدون أن تتناولها الدراسات بالقدر الكاف رغم أن الظاهرة يمكن تصنيفها على أنها كارثة وإن انتفى منها عنصر المفاجأة. ويتحليل نتائج بعض الكليات الجامعية أمكن استنباط بعض المؤشرات التى تشير إلى سلبية الدراسة باللغات الأجنبية فى مصر، بعكس التوسع فى دراسة اللغات الأجنبية ذاتها نظراً لاحتياج المجتمع لها فى منظومة التنمية ومنها منظومة الثقافة العربية ذاتها بجانب ظاهرة تغريب التعليم الحالية والتى بدأت تستشرى فى الكليات التى درجت على أن تكون الدراسة فيها باللغة العربية. وكل تلك المؤشرات تشير إلى أن التنمية تتناسب عكسياً مع ظاهرة العزوف عن استعمال اللغة العربية فى التعليم ومن ثَمَّ فى مختلف قطاعات المجتمع.

ولتعاملاتنا على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) جوانب لغوية عديدة يمكن ملاحظتها فيما يسود تعاملات الأفراد على شبكة المعلومات العالمية من العديد من الممارسات التى يمكن أن تكون أداة توحيد ولكننا للأسف نجعلها أداة تفريق. ونشير فى هذا السياق إلى المعاجم الإلكترونية التى لم تلق رواجاً حتى الآن نظراً لعدم تكامل أعمال تلك الجهود. بالإضافة إلى ذلك نجد أن ممارسات الشباب على شبكة الإنترنت غالباً ما تكون بالحروف الأجنبية بين الشباب العرب. ولقد وصل الأمر إلى أن وضعت بعض المجلات قواعد لكتابة الكلمات العربية

بحروف أجنبية وهو ما يعيد إلى الذاكرة المحاولات التى بدأت فى أربعينيات القرن الميلادى المنصرم للفظ الحرف العربى! ومن الأمور الملفتة للنظر كذلك أن العديد من المواقع العربية تحتوى كتاباتها على أخطاء إملائية عديدة تنم عن تراخٍ لا موجب له خاصة حينما تنافح تلك المواقع عن قضايا تمس الأمة وهويتها!

لقد أخذ العديدون الممارسات اللغوية والثقافية غير الناضجة التى مُورست على نطاق واسع فى الشارع العربى ونقلوها إلى الشبكة دونما التفات إلى وجوب استغلال الشبكة فى توحيد المصطلحات والممارسات وتنقيتها مما شابها على أيدى العامة خاصة وأن البرمجيات التى تستخدم فى التعامل مع الشبكة تحوى خصائص لغوية نتجاهلها فى غالب الأحيان؟! إنه لأمر مؤسف ألا يَعِ المثقفون وأدعياء الثقافة مسئولياتهم تجاه عناصر مجتمعهم ومنها اللغة. لقد جسدت اللغة بحق ممارساتنا غير المنضبطة فى العديد من أمور حياتنا وها نحن ننقل هذه العشوائية إلى شبكة الإنترنت ضاربين عرض الحائط بأخلاقيات لغتنا وانضباطها متجاهلين القواعد الأخلاقية فى التعامل البناء مع آليات المجتمع ومنها لغته.

لقد أتاحت شبكة المعلومات العالمية من خلال العديد من المواقع فرصاً عديدة للحوار العلمى فيما يخص قضايا التعامل مع اللغة العربية وتقييسها ولكن التردد على هذه المواقع والمشاركة فى حواراتها لم يصل حتى الآن إلى درجة مقبولة وهو أمر يدعونا إلى أن نُكرس الجهد للترويج لهذه المواقع الجادة لمعالجة قضايا اللغة العربية. وهذه المواقع تطرح العديد من القضايا الحيوية التى تتعلق بلغتنا العربية مثل التعديلات التى تجرى على الشفرة الموحدة

لتبادل البيانات بما فيها علامات التشكيل والاستعمال الحقيقى للأرقام العربية فى تلك الشفرات ومنها الأسس اللغوية لأسماء المواقع العربية على الإنترنت والعديد من القضايا اللغوية والفنية التى يجدر بنا المشاركة فيها مع الأجانب!!

حقاً، تموج حياتنا سواء العلمية أم الثقافية بالعديد من المتناقضات وتمثل قضية اللغة أحد ظواهر تلك الحالة. ورغم ما للغة من أهمية سواء فى تشكيل الفكر أم فى استيعاب المعارف، إلا أنها أحد أوضح عناصر منظومة الانتماء. فيكفى أن ننظر إلى أسماء المحلات التجارية والمنتجات المحلية لنجدها تموج بالعديد من الكلمات الغريبة على الأذن العربية. الأمر الذى يدعو الخاصة قبل العامة للانسلاخ عن هويتنا القومية. إن اللغة منظومة فكرية تكون أحد أهم محاور كيان أمتنا وأى أمة. ورغم أن الازدواجية التى نحياها تضع الكثير من علامات الاستفهام على تلك المقولة، إلا أن الكثير مما يصادفنا فى حياتنا يجسد هذه المقولة. فاستعمال الكلمات الأجنبية فى الأحاديث العادية استشرى فى العديد من مجالات حياتنا. وبمرور الوقت انتشر هذا الداء على لسان الخاصة قبل العامة ووصل إلى ألسنة صناع الرجال فى الجامعات وغيرها. ففى غياب المنظومة يحاول أى فرد لا تصل جذوره إلى ثوابت أمتنا أن يوجد له نقطة اختلاف عن العامة، وكأن اللسان المعوج هو تلك النقطة. إن التميز الحقيقى هو البزوغ أما ما نجده فى حياتنا هو دينونة لا تضيف لنسيج المجتمع أية إضافات، فغالباً ما تلوك تلك الألسن كلمات لا مدلول لها. ودارت العجلة لنجد هذا الوباء يستشرى حتى فى الريف الذى كان محافظاً إلى عهد قريب. هلم نراجع أسماء المحلات والإعلانات التى بدأت تصطبغ بصبغة غريبة عن نسيج المجتمع فالكلمات كثير منها أجنبية وحروف الكتابة كثير

منها أجنبية أيضاً. وكأنها تدعو المجتمع لنبذ حروفه وكلماته لتنحصر لغته فى ركن صغير يسهل ضربه فى مقتل فى خطوة تالية.

فى ظل منظومة التنمية الشاملة تكون الأعمال إضافات تكمل بعضها البعض. وفى الزمن الردئ تخنق الأعمال بعضها البعض ترسيخاً لهدم المجتمع وقيمة. فى نهاية القرن الماضى حينما إحتل الإنجليز مصر قلبوا موازين التعليم وفرضوا لغتهم على معاهد العلم. وفى فترة المد القومى؛ زمن الثورة على المحتل فى بدايات القرن الحالى؛ لم تكن اللغة أحد ثوابت الأمة فى نظر الطبقة الحاكمة. ثم تعاظم المد القومى إبان مرحلة بناء السد العالى فوجدنا الأسماء المختصرة للشركات التى أنشأناها لهدف قومى، غالبا ما تكون أجنبية رغم عدم قصور اللغة العربية فى هذا المجال. ثم جاء زمن أصبحت فيه أسماء المحلات التابعة للنوادى العسكرية المصرية أسماءً أجنبية! والأغرب من ذلك ما نجده على مستوى الوطن العربى من أن المؤسسات القومية التى ترفع شعار الثقافة والتعليم تكتسب أسمائها المختصرة وغالباً من اللغات الأجنبية.

هذا قليل من كثير تصبح معه لافتات المحلات جزءً يسيراً من فرملة الحياة التى تكبل مجتمعنا وتشده إلى أسفل. إن الواقع لمر وهذا ما يدفعنا دفعاً إلى البحث عن أسباب ذلك استلهاماً للحل. فهل يا ترى المقصود من صبغ المجتمع بهذه الصبغة أن يضعف اتصالنا بتراثنا؟ أم هل المقصود ألا نشعر بالانتماء لأية قيمة، ليسهل اجتثاثنا من خريطة العالم فى خطوة تالية؟ أم هل المقصود أن يسهل ترويج القيم الشاذة عن مجتمعنا من هذا الباب؟

وفى هذا الإطار لم تكن عروبتنا هى المرجع، ولم يكن القانون هو المرجع؛ فالقانون ينظم اللافتات الأجنبية فى الشارع المصرى؛ ولم يكن الاقتصاد هو المرجع بما ننفقه على الكتابة بحروف أجنبية لا تخاطب الأمة جميعها معرضة الوحدة الوطنية لخطر حقيقى. فهل يا ترى كان المرجع هو قابلية البعض لدونية يحاول أعداؤنا فرضها علينا؟ أم هو تخطيط ننزلق إليه لننبذ الحروف العربية ونستبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية مثلما نجح ذلك التخطيط فى بعض الدول؟ أرى الاحتلال يلتف حولنا وأرانى أتساءل ما هو الانتماء إن نحن أسقطنا بعد اللغة من منظومة الأمة؟ أعلينا أن ننهض للنفض عن أمتنا ذل الهوان والخنوع لنعيد للعربية موقعها الذى تستحقه فى فكرنا وحياتنا ولتصبح العربية بحق أحد ثوابت أمتنا، ولتتكامل نظرتنا للوطن ولمفهوم التقدم بل ولمفهوم الأمة؟

لعلنا لا ندرى أن العديد من الكتب التى ألفها البعض بلغات أجنبية تغص بالأخطاء اللغوية، فلا هى أضافت علماً ولا هى أضافت لغة[٦]. ولعلنا نتألم حين نعلم أن الرموز الكيميائية الأجنبية قد تسربت إلى معاهدنا العلمية وإلى مدارسنا ونحَّت أمامها الرموز العربية[٧]. ودعونا نتساءل لماذا نستعمل الرموز بشكلها الأعجمى الذى يذكرنا دائما بأن العلم لا يمكن أن يكون بلغتنا رغم عدم قصور اللغة التى تعلمناها وتعلمها جيلنا عن ذلك؟ هل لى أن أصدقكم القول أن اللغة هى آخر معاقل دفاعنا عن هويتنا بعدما تكسرت الكثير من القلاع! إن رسم اللغة أساسه حرف وعدد ورمز. لقد تم الاتفاق على الكثير من الأشكال العربية للرموز الكيميائية

٦ أحمد شفيق الخطيب؛ تعريب العلوم – القضية؛ مكتبة لبنان؛ بيروت؛ ١٩٩٤م

٧ محمد يونس الحملاوى؛ رموز الكيمياء؛ مجلة عالم الكيمياء؛ العدد الأول؛ أكتوبر ١٩٩٦م

والفيزيائية والرياضية والهندسية وغيرها من الرموز وصدرت لها المطبوعات من اتحاد المجامع العربية وللأسف لم يلتزم بتطبيق ذلك من قام بإعداده. أهو الهوان بعينه؟

أما الرقم العربى المستعمل فى مشرقنا العربى والدفاع عنه ضد محاولات طمسه وإحلال الرقم المستعمل فى المغرب العربى وأوروبا تحت دعاوى عالمية وغيرها، بحسن نية أحياناً وبسوء نية فى أغلب الأحيان. فهو قضية ثقافية فى المقام الأول. لقد ثبت أن الرقم المشرقى (١,٢,٣,٤,٥,٦,٧,٨,٩,٠) أقدم فى الاستعمال حيث يستعمل باستمرار منذ عام ٢٠٤هجرية (٨٢٠ ميلادية) كما أن الرقم المغربى (1,2,3,4,5,6,7,8,9,0) لم يكتب به سوى أقل من ٨% من تراثنا العلمى العربى. كما أن الرقم المشرقى أكثر استعمالاً بين العرب فأكثر من ٧٥% من العرب يستعملون الرقم المشرقى. كما أثبتت الدراسات أن الرقم المشرقى أكثر توافقاً مع الحروف العربية من الرقم المغربى. ولقد أفردت مؤتمرات الجمعية المصرية لتعريب العلوم جانباً من اهتمامها بهذه القضية وشملت توصياتها هذه القضية حيث أكدت على إقرار ما تم استخدامه فى المشرق العربى من أرقام (١,٢,٣,٤,٥,٦,٧,٨,٩,٠) فى كل البلاد العربية. لقد ثبت علمياً أن أرقامنا العربية المشرقية تستخدم فى الغالبية العظمى من كتب التراث فضلاً عن أنها الأقدر والأكفأ والأكثر استعمالاً والأكثر توافقاً مع أشكال الحروف العربية وملاءمتها لاستخدام التقنية الحديثة بصورة أفضل. كما دعت تلك المؤتمرات والندوات، الجهات المعنية فى الجامعات والمراكز والجمعيات العلمية ومجامع اللغة ووسائل الإعلام والنشر، إلى أن تتبنى استخدام هذه الأرقام العربية الأصيلة والدعوة إليها.

٣.تعريب العلوم:

تهدف الدعوة إلى تعريب العلوم إلى شقين أولهما يتعلق بتصحيح ممارساتنا بالنسبة للغة التعليم عن طريق إرجاع اللغة القومية إلى وضعها الطبيعى بالنسبة لأمتنا كوسيط تعليمى وكوعاء ثقافى وهو الوضع الطبيعى فى مختلف الأمم والحضارات قديماً وحديثاً، وهو أمر بدهى لزيادة كفاءة العملية التعليمية. أما الشق الثانى فى قضية تعريب العلوم فهو شق طويل الأمد ننتج فيه علم عربى يتواصل مع ما أنجزناه فى عصور سابقة! وليس هذا بدعاً من التمنى بل هو فرض فى عالم متسارع التنمية لا مكان فيه إلا للمتميز، ونحن قد اختبرتنا الحياة فقدنا العالم بأسره فى عهود وعهود فقدرتنا على الاستيعاب والإبداع ليست محل شك، كما أن قيمنا قد مكنتنا من الوصول إلى تحقيق ذلك فى فترة زمنية قصيرة، إضافة إلى أن الإمساك بزمام الحضارة المادية أصبح فى متناول مختلف الأمم الجادة إن هى أحسنت استغلال ما فى أيديها من إمكانات. هذا الشق الثانى من القضية آت لا محالة إن نحن استوعبنا العلم ثم أبدعنا فيه علماً نافعاً يضيف لرصيدنا ولا ينتقص منه. ولكن هذا الشق الثانى المؤجل (قصراً) لا يمكن أن يتم أو يظهر إلا بعد أن نمر من بوابة تعريب لغة التعليم والثقافة والعلم الذى بين أيدينا وتوطينه. لم تعرف البشرية أمة من الأمم كان لها نصيب من المدنية لم تمر من هذا الشِق بدءً من بوابة الترجمة ومروراً بكل آليات توطين العلم فى المجتمع. ونحن العرب كان لنا شأن وشأو فى مضمار الحضارة الإنسانية بتعاليم وقيم مطلقة سدنا بها العالم الذى مازال يتبنى قيماً مزدوجة (من وجهة نظرنا) ولم يصل فى بعض قيمه إلى قيم مطلقة كالعدل وغيره من

القيم[٨]. وكان لنا شأن وشأو بريادة علمية أفرزت العديد من الطفرات والإضافات العلمية فى كثير من العلوم التطبيقية[٩] بلغة واحدة نحسب أن لها السبق فى استيعاب العلم إذا نحن قسمنا العلم التطبيقى الذى أنتجته البشرية وحتى بدايات القرن الميلادى العشرين، تبعاً للغة أهله الذين اخترعوه ورعوه وأبدعوا فيه وبه. ونحسب أن لها المكانة الأرفع من حيث كونها لغة اشتقاقية تتفوق على اللغات الإلصاقية حيث دخلت مفردات العربية؛ لاحتياج لغوى؛ فى لغات الآخرين بعكس ما حدث مع اللغة العربية التى يتندر البعض بمفردات قليلة نختلف حول أصلها! ومن ثّمَّ فحينما يقول القائل أن العرب لا نصيب لهم من العلم وأنهم من استيعاب المدنية براء، يكون قد جانب الحقيقة التاريخية والحقيقة العلمية فى آن واحد ناهيك عن تأثير اللغة العربية على سائر لغات الحضارة الغربية فى الجانب العلمى والجانب الحضارى فى آن واحد[١٠].

ما يهمنا فى توجهنا الحالى هو الشق الأول المتعلق بتوحيد لغة العلم فى المجتمع كى يتفاعل مع بعضه البعض وينتج حضارة تُقنا إليها منذ زمن! ولسنا بِدعاً عن أى أمة من الأمم فى توجهنا هذا فلم يكن لأمم العالم أية إضافة إلا بلغاتهم. لم تنطلق حضارة الغرب إلا بعدما تكونت لغات تلك الشعوب فانصهرت إمكاناتهم وأعمالهم فى بوتقة لغتهم لتنتج علماً نتطلع

٨ محمد يونس الحملاوى؛ العدل أول معطيات النهضة الإسلامية؛ المؤتمر الدولى السادس للفلسفة الإسلامية؛ القاهرة؛ ١-٢ إبريل ٢٠٠١م

٩ محمد يونس الحملاوى؛ علماء المسلمين: هل من دور لهم؟؛ المؤتمر الدولى عن المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز: الماضى والحاضر والمستقبل؛ القاهرة؛ ٢٨-٣٠ سبتمبر ١٩٩٣م

١٠ تحية عبد العزيز إسماعيل؛ من غيب اللغة والتاريخ؛ مطابع الأهرام؛ القاهرة؛ ١٩٩٥م

إلى معرفته واستيعابه. وهذا الذى حدث تلا مرحلة ترجمة نشطة ترجمت ما يحتاجونه وغضت الطرف عما يتعارض مع عقائدهم. لقد ترجمت أوروبا المتاح من العلوم التطبيقية وأنتجت علمها، كما خطت اليابان والصين وسائر الأمم التى لها حظ من المدنية حديثاً أو قديماً نفس خطوات الترجمة لتبنى على ذلك العلم نهضتها. لقد أصبحت الترجمة عملية مستمرة لا تتوقف على بدايات مرحلة النضج العلمى نتيجة تسارع المعارف وتدفقها بسرعة كبيرة فى عصرنا الحالى. وللتدليل على هذا نشير إلى أن أكبر مشاريع الترجمة حالياً هى بين اللغات الأوربية وبعضها البعض وهى لغات أقوام لهم حظ وافر من المدنية وكذلك بين اليابانية والإنجليزية الأمريكية وهما لغتين لدولتين متقدمتين، ولم يتعارض هذا مع تعلم مختلف اللغات الأجنبية لوجود احتياج إليها كى تستطيع الأمم ترجمة العلوم والمعارف إلى لغاتها وكى تتواصل الحضارات مع بعضها البعض.

لم تشذ أمة واحدة من الأمم التى لها حظ من التقدم قديماً أو حديثاً عن مسيرة التعلم بلغتها الأم ثم الاستيعاب ثم الإبداع بما فيهم العرب الذين بدءوا نهضتهم بعصر الترجمة كى يستوعبوا العلم ثم يبدعوا فيه. حدث هذا أيام العباسيين ثم فى العصر الحديث أيام محمد على. فى كلا المرحلتين سبق نهضتنا جهد فى مجال الترجمة أنتجنا بعده علماً عربياً ولكن استمرارية الجهدين كان مرهوناً بالتوجه خلف الجهدين وتلك قضية تحتاج للبحث والتمحيص! أليس ملفتاً للنظر أنه لم تتخلف أمة من أمم الحضارات السابقة عن ركب المدنية الحالى سوى العرب؟! أليس عجيباً أن أمم الحضارات السابقة الأخرى جميعها عادت لتتبوأ مكاناً لها فى مسيرة الإنسانية من بوابة الترجمة بدءٍ من اليابان ومروراً بالصين وكوريا واليونان

والمجر؟ أليس ملفتاً للنظر أن كثير من الأمم التى يتراوح عدد سكانها والمتحدثين بلغتها بين ثلاثة ملايين ومئات الملايين من البشر يتم فيها تدريس العلم بلغاتها[١١]؟ أليس غريباً أن تكون إضافات جميع الحضارات بلغاتها ونجادل نحن فى جدوى التعليم بلغتنا؟

لقد درجنا فى العديد من أمور حياتنا على أن نُنجِز من خلال أعمال غيرنا، لدرجة أصبح معها، أن نطلب من شخص ما أن يقوم بالعمل عوضاً عن قيامنا نحن بالعمل، هو أسلوب حياتنا! ولكن هذا الطريق عقيم بل جد عقيم لأنه يوصلنا لأن نكتفى بالنظر إلى أعمال الآخرين وننقدها دونما مشاركة فيها وكأن القول أصبح بديلاً عن الفعل! حتى فى قضايا التعامل مع اللغة العربية كثيراً ما نطلب من رجال الإعلام (إن لم نكن نحن من رجال الإعلام) أن يُجَوِدوا فى لغتهم ونتناسى أن تدريس اللغة العربية ذاتها يتم فى جل المدارس والكليات العلمية المتخصصة بالعامية! ووسط طوفان الحرف اللاتينى الذى أصبح له بريق عند كثير ممن يدعون الثقافة يتراجع الحرف العربى ليفسح مكاناً للحرف اللاتينى. ورغم أن عدداً من مثقفى الأمة يعى أبعاد القضية ويبذل جهداً فى سبيل حلها، إلا أن تلك المعالجات الجزئية للقضية لن تؤدى إلى حل جذرى، إلا إذا وظَّفنا تلك الآليات فى منظومة متكاملة، وإن كانت جميع الجهود جد مطلوبة لدفع القضية للأمام. هذه المنظومة المتكاملة يجب أن تكون جذرية متشعبة تتعامل مع الواقع وليس مع الأمانى بأسلوب علمى عملى تتخذ الحقائق سندها والقانون ركيزتها وتخاطب عقل المتلقى قبل وجدانه تأخذ الأمر بحزم وثقة تغلفها الدعوة

---

١١ تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٩/٢٠٠٠؛ البنك الدولى للإنشاء والتعمير؛ واشنطن؛ الولايات المتحدة الأمريكية؛٢٠٠٠م

الحسنة. من الملفت للنظر أن من يشارك فى تغريب العلم فى مجتمعنا هذا لم يفكر فى الأمر ويأخذ ما جرى عليه العرف مأخذ الجد رغم أن العديد من هؤلاء النفر خابر المدارس العلمية الخارجية وعرف وضع اللغة فى مختلف المجتمعات. ورغم كل هذا يبقى أن هؤلاء الذين يقع عليهم عبء النهوض بأمتنا وخاصة فى الجامعات لم يفكروا فى الأمر؟!

قضية التعريب قضية محورية تستتبع الإجادة فى تعلم اللغة العربية والإجادة فى تعلم اللغات الأجنبية والإجادة فى تعلم العلم الذى به تُبنى الأمم. هى قضية تبدو لى كالسهل الممتنع لأنها بديهية ولكنها ممتنعة عن عقول من يملك التنفيذ؟! ممتنعة عن عقول رواد الحضارة فى الجامعات كما يُطلق عليهم من البعض، صُنَّاع الرجال كما يجب أن يكونوا. وحتى نسبر أغوار قضية التعريب لابد لنا من التسلح بتجارب أمتنا وتجارب الأمم الأخرى التى سبقتنا فى تعلم الدرس الأكثر بداهة من دروس الحضارة وهو استعمال اللغة القومية كبوتقة لمختلف نشاطات الأمة! ولسوف تتفتق الحيل عن أيسر الطرق للتنفيذ حال خوضنا غمار التعريب. فى تعاملنا مع جزئيات قضية تعريب العلوم نتناسى كثيراً أن تصحيح وضع اللغة القومية فى أى مجتمع لن يُفضى فقط إلى تنمية ذلك المجتمع مادياً فحسب بل سيضع لغته فى ذلك المعترك بتقديم مدد حضارى مستمر لها يساعدها ومن ثَمَّ يساعد أبنائها على استيعاب أسرع لمفردات الحضارة. سوف يفضى تعاملنا مع اللغة كبوتقة لمختلف نشاطات المجتمع إلى أن تنصهر تلك النشاطات فى شبكة واضحة المعالم يغذيها العامل والفنى والمهندس والخبير والاستشارى والطبيب والممرض والمريض والتاجر واللغوى وكل فرد من أفراد المجتمع. هذه الشبكة ستربط أفراد المهنة الواحدة ببعضهم البعض وبأفراد المهن الأخرى فتزيل رقعة الشطرنج التى تصطف

فيها نشاطات المجتمع بجوار بعضها البعض وتتراص فيها مختلف مهارات المهنة الواحدة داخل مربعات تشترط ألا يجاورها مربع بنفس اللون حتى يتمايز عن المربع الذى بجواره. هذا السلوك المجتمعى لا يُفضى إلى تنمية ولا يفضى إلى تعاون ولا يُفضى إلى ثراء حتى فى مجال اللغة التى تعبر عن مضامين محددة يضن عارفيها على لغتهم بها عامدين أو غافلين. لقد قطَّعنا مجتمعنا إرباً إرباً بوعى أو بدون وعى وهو موقف فى الحالتين مُشين لأننا فى الحالتين لم نكن على مستوى الإدراك ولكن من مِنَّا لا يغفل عن بعض البديهيات ولهذا كانت الذكرى وكانت التذكرة التى لا يجب أن يقابلها العناد وإلا كان موقفنا مع سبق الإصرار والترصد!

قضيتنا التى يجب أن ننافح عنها وهى خدمة اللغة العربية يندرج العديد من جزئياتها تحت قضية تعريب العلوم. فحينما نُفَعل اللغة فى حياتنا سوف نوقف مد اللغات الأجنبية الطاغى بدون وعى على لغتنا القومية ليس فقط من حيث تقليص دورها لتعود إلى وظيفتها الأساسية من حيث كونها لغة تواصل مع الآخر فقط، بل أيضاً من حيث توهمنا أننا بتعلم العلم بلغة أجنبية نكون قد اكتسبنا علماً حديثاً ولغة أجنبية، فلا نحن حصَّلنا علماً حديثاً أو قديماً بالدرجة المُقَدَرَة ولا نحن حصَّلنا لغة أجنبية[١٢] إنما الأمر كله محض توهم. لقد درجنا على السير فى هذا النهج منذ أن استعمرتنا الدول الغربية وقطعت أوصال أمتنا العربية إلى إيطالية وفرنسية وإنجليزية وتشايعنا جميعاً لهذا النهج الذى لا يجد بديلاً عن لغة المستعمر كوعاء

١٢ محمد يونس الحملاوى؛ اللغة كعنصر فاعل فى تعليم العلوم؛ مؤتمر استعمال الحاسوب فى تعليم الفيزياء؛ القاهرة؛ ٢٦-٢٨ فبراير ٢٠٠٠م

لثقافته رغم الدراسات العديدة التى تثبت تأثير ذلك على الهوية وعلى الناتج المجتمعى ولكن لم نستطع لأنفسنا فكاكاً من هذا القيد لدرجة أننا لغوياً أطلقنا على المُحتل (من الاحتلال) لفظ الاستعمار (من العَمَار) وكأن العمار صفته! لقد أصابنا الاحتلال فى مقتل حينما أفقدنا الحس اللغوى فى تذوق الأمور! المهم أننا تشايعنا لهذا الذى وضعه السيدان سايكس وبيكو بالمسطرة والقلم على أوصال أمتنا العربية (وهو أمر يمكننا اكتشافه بسهولة حال تصفحنا لأى أطلس جغرافى يشمل منطقتنا العربية)، وبتنا لا نرى إلا فى الفرنسية لغة المدنية فيمن ارتبط بالاحتلال الفرنسى، وإلا فى الإنجليزية لغة المدنية فيمن ارتبط بالاحتلال الإنجليزى! لقد درج بعضنا على السير فى طريق يمكن فيه أن يتعالى على أبناء جلدته برطانة تبرأ منها اللغات الأجنبية وبتراكيب لا تستقيم مع الحس اللغوى للغة التى يتوهم أنه يجيدها وبات التخفى وراء حاجز اللغة أمراً يُفضى على أحسن الفروض إلى الراحة والتقاعس عن بذل جهد حقيقى لتوصيل العلم لطلابه.

٤.التعريب قضية قومية:

ما بُذِلَ فى قضية تعريب العلوم من جهد لكبير بحيث يصعب حصره بصورة قاطعة. وحيث أن أغلب ذلك الجهد قد بذل فى غير إطار منظومى لذلك لم يغير هذا الجهد على ضخامته إلا القليل من واقعنا اللغوى والتنموى المرير. فنجد الاجتماعات تعقد ويتخذ فيها قرارات ثم لا ينفذ الحاضرون تلك القرارات فور انتهاء الاجتماعات لأن الكثير ممن ساهم فى صياغة تلك القرارات لم ينضح فكره على عمله على أحسن الفروض. ومن هؤلاء من لم يؤمن بالتعريب

كقضية قومية تنموية لها الكثير من الانعكاسات على العديد من جوانب حياتنا مثل الانتماء وغيره من مكونات الشخصية العربية.

ولكن القضية أوضح من أن تتطلب ما بذل فيها من جهد، لكن مع غياب الرؤية الشاملة ومع غياب القرار السياسى فلا مفر من بذل الجهد مهما كان كبيراً لحل هذه القضية. وفى سبيل ذلك دعونا نحصى عتادنا ودعونا نبصر أعدائنا. فعلى الجانب الإيجابى يقف عدد من المؤمنين بقضية التعريب والمتحمسين لها فعلاً وقولاً وهم قبل هذا يطبقون ما ينادون به على أنفسهم أولاً. وعلى الجانب الآخر نجد مجموعة ممن غاب عن وعيهم ثوابت الأمة ووجدوا فى ثوب المستعمر لباس لهم وقناع ينظرون من خلاله لقضايا أمتنا. وهؤلاء يلبسون أى ثوب ويتلونون بأى لون لينفثوا سمومهم فى كيان المجتمع؛ تحت دعاوى كثيرة ظاهرة أحياناً ومستترة غالباً؛ علهم يستطيعون أن ينخروا فى جسد العربية ليجهزوا عليها فى مرحلة تالية. أما أصحاب المصلحة الحقيقية فأغلبهم صامتون حيث لم تعرض عليهم القضية مطلقاً، ناهيك عن تكامل الطرح بكل أبعاده وإلا لكان لهم رأى مؤيد للقضية فى أغلب أبعادها على الأقل. وهؤلاء هم الكتلة التى نأمل بتحريكها دفع القضية لتأخذ مكانها الصحيح فى خريطة التنمية. فهذه الكتلة المغرر بها تضطر لأن تتقبل تعليم أجنبى أحياناً وتعليم متدنٍ غالباً؛ حيث تم خلط الحقائق أمامها؛ بدلاً من إعلامها بحقها فى الحصول على تعليم حقيقى ومتميز. ومن هذا المنطلق أقترح أن نعقد المؤتمرات والندوات ونصدر النشرات والدوريات ليس لمناقشة قرار التعريب من عدمه بل لعرض حقائق القضية بقوة ووضوح إعمالاً لحق الأمة فى أن تبصر عن وعى حقائق وجودها. ولنتذكر قول هوارى بومدين (نتخذ قرار التعريب قراراً نهائياً لا رجعة

فيه ثم نناقش كيف وبأى الوسائل والمراحل) إن الخيار بين اللغة الوطنية وأية لغة أجنبية أمر غير مطروح للنقاش فلا لنبذ تعلم اللغات الأجنبية، فهذا أمر غير مطروح بل ما نطالب به هو تعليم متميز بالعربية وتعلم اللغات الأجنبية بصورة متميزة فى ذات الوقت. وهذه المؤتمرات والدوريات عليها أن توضح وتناقش مفردات قضية التعريب كقضية انتماء وقضية تنمية. كما يجب عليها أن تتعامل مع القضية بطريقة موضوعية، وأن تتناول بطريقة علمية تطويع التقنيات الحديثة لصالح اللغة وليس العكس وأن تتصدى للمقولات السلبية بصورة موضوعية. ولنتذكر أن الطريق ليس ورداً وليس شائكاً لمن آمن بحق أمتنا فى أن تتبوأ مكانها الذى احتلته ردحاً طويلاً من الزمن وآن لأبنائها أن يبذلوا الجهد ليرفعونها إليه.

ولننظر فى واقعنا الأليم علنا ندرك أن قضية التعريب هى من أساسيات نهضة أمتنا التى لا نفتأ نبذل الجهد من أجلها. إن نحن نادينا بالتوحد العربى فعلينا أن ندرك أن تعريب العلوم هو أحد الأساسيات التى نرتكز عليها. وإلا سنجد المصطلحات إنجليزية فى بعض الأقطار وفرنسية فى البعض الآخر. وليس هذا لسبب جوهرى بل هو لسبب مخزى أن يكون قد أصابنا الاحتلال فى صميم تفكيرنا ليقسم الدول العربية إلى فريقين ليسهل بعدها تقسيمها فى تفاعل متسلسل حتى يفنى الجسد العربى كله. ولن أضيف جديداً إن قلت أن أى فرد لا يمكنه أن يبدع إلا بلغته، ولن يمكن للمجتمع ككل أن يبدع إلا بلغة واحدة، فالعلم ليس صنعة العلماء وحدهم بل هو أسلوب ونمط تفكير المجتمع ككل، ولننظر إلى أسماء العلماء والمخترعين على مر العصور لندرك ذلك. وليس هذا مجال بحث تاريخى بل الواقع أيضاً يؤكد أن الكثير من الأفكار والإضافات الحديثة تأتى من تفاعل أكثر من علم وأكثر من عالم مع بعضهم البعض.

ولن يمكن لهذه المنظومة أن تأتى ثمارها إلا من خلال لغة واحدة يفكر بها الإنسان ويتعلم بها ويتفاعل مع مجتمعه بها. وإلا تحول الفرد إلى منفذ للتعليمات يدور فى مطحنة الوقت لنزداد تخلفاً وليزداد عدونا تقدماً.

لست فى مجال إيضاح أهمية التعريب إلا أننى أسوق موقفاً كثيراً ما يصادفنا وهو الاختيار بين قراءة كتاب فى تخصصنا بالعربية ونفس الكتاب بلغة أجنبية فأيهما سنختار؟ ولكن المهم ماذا يحدث لو لم يكن الكتاب فى تخصصنا؟ والإجابة بكل تأكيد توضح لماذا يراد بنا أن نبتعد عن جذور العلم وعن الإدراك الحقيقى للكليات لنتحول جميعاً إلى موظفين أو إلى جرزان فى حقول التجارب لها دور محدد فقط مطلوب منها أن تحسن القيام به لمصلحة العالم المفكر المبدع. أما لنا أن نكون نحن العلماء المفكرين المبدعين؟ أما لنا أن نحول مجتمعنا إلى مجتمع عالم مفكر مبدع يحافظ على ثوابت الأمة ولغتها ويدفعها للأمام حتى نزيل من العلم غربته ونعيد له وجهه العربى الذى كان مشرقاً يوماً ما. أرى أن نهتم بتوعية جموع شعبنا بما يحاك بنا وبلغتنا وليكن لنا فى شعب نهض بلغته من القبور وجعلها وعاءاً لحضارته العبرة. وما بالنا ونحن العرب نتكلم أقدم لغة حية ما زلنا نتردد فى اتخاذ القرار. فأحياناً ننتظر قراراً سياسياً وأحياناً نتعلل بالبصيرة وأحياناً نتلمس السراب. نحن لا ننكر أهمية القرار السياسى فى مسألة التعريب ولكننا أصحاب المسئولية الحقيقية فى إنهاض بلادنا. وهو واجبنا أن ندفع وطننا للأمام ولا يمكننا الانتظار لحين صدور القرار السياسى. فلنبدأ بأنفسنا. فالتعريب هدف ووسيلة، فهو هدف للحفاظ على كياننا بحماية لغتنا ومقدرات شعبنا، وهو وسيلة لتعميق الفهم الجيد للعلوم وأساسياتها لاستيعاب المعارف لننهض بأمتنا من ذل الهوان الذى ترزح

فيه، وهو بهذا قضية قومية ليس فقط فى مصر بل ولجميع الناطقين بالعربية. فالتعريب قضية استيعاب الحضارة حتى نتمكن من رفع أمتنا لمستوى يليق بها، وهو كذلك قضية حفاظ على مقدراتنا فى مواجهة الدونية التى يراد لنا أن نحياها، وهو فى نفس الوقت وسيلتنا للحفاظ على مقدرات ومقومات شعبنا والحفاظ على هويتنا التى تكسرت أغلب مقوماتها لتبقى اللغة آخر مقوم نحافظ به على جسد الأمة علنا نستطيع أن نبث فيه روح العروبة التى سادت لقرون والتى حق لها أن تقود حديثاً.

أرى أن نتناول بحذر كل الدعاوى المتعلقة بهويتنا العربية ونحاول إمرارها على ميزان العقل لتمحيصها بصرف النظر عن مصدرها فمجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى يضطلع بمهمة الحفاظ على اللغة بحث عام ١٩٤٣م اقتراح أحد أعضاء مجمعه؛ وهو أحد وزراء العدل فى مصر؛ إستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية[١٣]. ولم يكن ذلك ضرباً من المجون بل هو محاولة دؤوبة لدفن تراثنا واجتثاث الأمة من جذورها. كما لم يكن ما طلبه مستحيل الحدوث فلقد حدث نفس الشئ فى تركيا وفى ماليزيا وفى أندونيسيا بل وفى إحدى الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية الآن وهى الصومال. والمهم فى الموضوع ليس السماح بمناقشة ذلك الأمر رغم ما عليه من مآخذ، بل الأهم آراء وتعليقات أعضاء المجمع على الاقتراح. فنجد عضو المجمع أستاذ الجيل يقول (لا شبهة فى أننا جميعاً قدرنا فضل صاحب هذا البحث القيم) كما نقرأ تعليق عضو آخر هو عميد الأدب العربى؛ والذى تولى وزارة المعارف فى مصر

١٣ تيسير الكتابة العربية، مؤتمر المجمع سنة ١٩٤٤، مجمع فؤاد الأول للغة العربية؛ المطبعة الأميرية؛ القاهرة، ص ٧٨، ١٩٤٦م

مسئولاً أولاً عن التعليم فى مصر؛ على ذلك الاقتراح أثناء بحثه بالمجمع (الواقع أن البيان الذى عرضه أستاذنا ... من أروع ما قرأت فى البحث العلمى والفنى فى اللغة العربية فى العصر الحديث ... وأكبر الظن أن فشل التعليم الإلزامى يرجع أن القراءة صعبة، فمقصد معالى ... مقصد على جانب كبير من الخير والإصلاح. ويبدو أن سعادة ... فيما أذكر كان أول من نادى باتخاذ الحروف اللاتينية وكان مقصده من ذلك أن تصبح العربية لغة حية....) فلقد كان التبارى على من له شرف السبق بذبح العربية. ولننظر إلى أسماء من وقفوا مع المشروع وماذا تبوءوا من سلطة تنفيذية فى مجال التعليم والفكر ثم لنظر إلى أسماء من عارضوا ذلك الاقتراح وهم الأعضاء : الأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ محمد كرد على والشيخ عبد الله المغربى والشيخ أحمد إبراهيم والدكتور فارس نمر والأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب والأستاذ منصور فهمى وكثير منهم لم يسمع أغلبنا عنهم إلا قليلاً رغم ما ندين لهم به من موقف. إن عدم اتخاذ المجمع قراراً بذبح العربية فى أربعينيات القرن الميلادى المنصرم لا يعنى أن القضية قد حسمت بل إن المحاولات الدءوبة للنيل من العربية تحت دعاوى تبسيطها ستستمر ولهذا علينا أن نحذر دوماً. بل إن ما يبذل فى لبنان على سبيل المثال من تنفيذ اقتراح الكتابة بالحروف اللاتينية بطبع الكتب بها يفرض علينا أن نتوخى اليقظة دوماً. ولإن كان اقتراح استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية سافراً إلا أنه لم يكن الاقتراح الوحيد لتقويض اللغة ففى عام ١٩٤٤م بحث مجمع اللغة العربية بالقاهرة أيضاً اقتراح عضو آخر من أعضائه يهدف إلى حذف بعض الحروف من الكلمات كالألف الممدودة وغيرها وإضافة حروف جديدة بدلا من علامات الضبط رغم أن علامات الضبط فى اللغة العربية التى يراد لنا أن نعزف عنها هى التى ضبطت الكلم العربى رغم اختلاف المتكلمين وهى التى أغنتنا

عن لغة النطق التى ظهرت الحاجة الماسة لها فى أغلب اللغات الأجنبية والتى غالباً ما تصاحب أغلب تلك اللغات. ولنا أن نتساءل أإضافة حروف جديدة للغة تيسير أم ماذا؟ إن لم يكن ذلك دعوة للقضاء على العربية فماذا تكون؟ وأصدقكم القول أن ذلك لم ولن يكن آخر محاولات القضاء على العربية بصورة سافرة ناهيك عمن يدعى الإيمان النظرى بالتعريب بدون أن يضيف بالعربية أى عمل. بقى فى هذا الخصوص أن أشير إلى أنه عُرِض مشروعى عضوى المجمع على مجلس المجمع فى نفس الوقت، الأمر الذى جعلنا نتساءل ماذا كان سيحدث لو لم تتعارض مشاريع القضاء على العربية؟ أكنا لا نكتب العربية الآن؟ والمهم أنه بعد أن فرغ المجمع من نظر الموضوعين قرر طبع كل منهما وما دار فى شأنه من المناقشات وعرض ذلك على البلاد العربية. تلك الحقائق أوردتها لنتوخى الحذر ونعمل الفكر فيما يحاك بنا من مكائد، مرة تحت دعوى تيسير الكتابة وأخرى تحت دعوى تبسيط النحو وغيرها من الدعاوى التى ألفنا سماعها من كثرة ما تشدق بها الواهمون.

أردت سرد هذين المثالين لما فيهما من عبر آملاً ألا ينقص ذلك من الجهود التى يقوم بها مجمع اللغة العربية للحفاظ على اللغة العربية بل نُذَكِّر فقط بزمنٍ رديء يتطلب منا التعامل مع كل شئ بحذر مضاعف، ولنتذكر فى هذا السياق المشاكل الحقيقية التى واجهت اللغات الأخرى وكيف تم حلها. ففى اللغة الفرنسية لا يوجد رقم تسعون فيقولون أربع عشرينات وعشرة ولم يحل الفرنسيون تلك المشكلة للآن لأنهم لم يصنفونها على أنها مشكلة فى نظرهم. تلك هى المشاكل الحقيقية لكن ما نلوكه عن مشاكل متوهمة فى العربية تعوق الكتابة والإملاء والنطق أوهام يراد بها أن تكون سلاح البعض لتقويض لغتنا العربية.

إن الخطر لمحدق وعلينا أن نتسلح بالحذر ولنعرف أن وضعنا المتردى فى أغلب مناحى الحياة نتيجة عدم تكامل النظرة للأمور بجانب التناقض الذاتى الذى نجده فى الكثير من مناحى حياتنا والذى نتج عنه أننا؛ وخلال القرن الحالى كله؛ لم يكن لنا إضافة تذكر فى أى مجال كما يتدنى مردود التنمية فى مجتمعاتنا بصورة لا توجد فى أى مجتمع آخر كان له نصيب من الحضارة فى الماضى.

إن قضية التعريب تتطلب أن نتعامل معها بطريقة علمية لا مجال فيها للأحلام بل للأمانى المخططة وحدها. وظنى أن تعاملنا مع قضية التعريب لم يصل للآن لمرحلة الفعل المنظم، ففى وصولنا للفعل المنظم قضاء على أغلب العقبات، لتبقى بعد ذلك بعض الإشكاليات التى يمكن تركيز الجهد فيها بصورة تؤدى إلى النتيجة السليمة. ولنعلم أن مساحة الحركة المتاحة لأغلبنا كبيرة بصورة محسوسة ولعلنا نستنفذ هذه المساحة قبل أن نطالب غيرنا ببذل أى جهد للمعاونة فى تحقيق هدفنا. ولنتدبر ما حدث فى مصر إبان الثورة على الانجليز فى عشرينيات هذا القرن علنا نوقن منها أن الصورة الأن أفضل من ذلك الوقت حينما كان على رأس المؤسسة التعليمية وقتها وزير يعارض التعريب ويفضل لغة المحتل وكأن البعد القومى لا يجب له أن يصل إلى عقل الأمة وفكرها. بعد احتلال مصر بسبع سنوات فقط أصدر الإنجليز قراراً فى عام ١٨٨٩م بأن تكون لغة التعليم فى المدارس المصرية هى الإنجليزية. وفى عام ١٩٠٧م تقدم بعض أعضاء الجمعية التشريعية المصرية باقتراح يطلبون فيه إرجاع اللغة العربية كلغة تعليم فى المدارس المصرية وأن يكون الشروع فى ذلك من السنة التالية. وقف ناظر المعارف (وزير التربية والتعليم) وقتها فقال (إذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من

الآن باللغة العربية، وشرعنا فيه فعلاً، فإنما نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبيرة ... فإذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح المقدم إليكم، كنتم كمن يحاول الصعود إلى السماء بلا سلم. كله أرجو ألا تندفعوا فى هذه المسألة وراء إحساسكم وأن تستشيروا؛ قبل البت فيها؛ العقل والحكمة أذ لا فائدة لكم أن تطلبوا طلباً تعلمون من الآن أنه لا يقابل بغير الرفض لاستحالة تنفيذه ....) إن الوضع الآن أفضل من ذلك الموقف فى بدايات هذا القرن. وما بالنا لا ننجح إن كان ما قاله وزير التعليم وقتها زعيم الأمة قد ذهب أدراج الرياح وتمت الموافقة على عودة اللغة العربية كلغة للتدريس فى المدارس المصرية فى ذات التاريخ بأغلبية جميع أعضاء الجمعية التشريعية المصرية عدا خمسة أصوات غير أصوات الوزراء! وابتدئ فى تحويل التعليم من العام التالى مباشرة واكتمل عام ١٩١٢م[١٤]. ولنتدبر المغزى من تلك الواقعة ومنها معارضة وزير المعارف وكافة الوزراء لمشروع التعريب وقوفا ضد مصلحة الأمة. أكان بعد اللغة والثقافة العربية والقيم الثابتة للمجتمع غائبا عن السلطة التنفيذية أم هو تضارب وتناقض ذاتى[١٥]؟ ألنا فى هذا الإصرار على الهوية العربية لمصر رغم معارضة جميع الحكومة نبراساً يحتذى؟ أرانى أتدبر قوة مشروع التعريب المقدم حال الإصرار على البدء فوراً فى تنفيذ تعريب التعليم رغم الحالة الذهنية للسلطة التنفيذية التى تسلط عليها اعتبار الإنجليزية لغة الأعمال ولغة العلم واللغة الهدف وفى نفس الوقت ينادون بضرورة طرد الإنجليز من مصر! وأتدبر كذلك شكل القرار السياسى الذى نريده وآلية اتخاذ القرار حال معارضة القيادة السياسية

---

١٤ محمد جابر الأنصارى؛ تجديد النهضة بأكتشاف الذات ونقدها؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ ببيروت؛ الطبعة الأولى، ص ٧١٦، ١٩٩٢م

١٥ محمد يونس الحملاوى؛ اللغة: البعد الغائب فى منظومة حاضرنا؛ المؤتمر السنوى الثالث لجمعية لسان العرب؛ القاهرة؛ ١٦-١٧ نوفمبر ١٩٩٦م

أو حتى حال انشغالها بأمور أخرى. أى تضارب ذاتى أوقعنا فيه المحتل؟ ولنتدبر الموقف الحالى فى أغلب المستعمرات القديمة حيث رحل المستعمر بقواته واستبدل قواته بفكر وأعوان ومسوخ أفضت لأغلب المستعمرات القديمة فى أغلب العالم تدنياً ملحوظاً فى التنمية وفى العلم وفى كل شئ.

- **تعريب التعليم العام:**

إنه لمن المؤسف أن نجد أن مظاهر التغريب قد امتدت إلى عقل الأمة وفكرها، فبتنا نتعايش مع ظاهرة ما يسمى بمدارس اللغات التى تقوم بتدريس مختلف المواد العلمية بلغة أجنبية. وليت الأمر يقف مرة أخرى عند هذا الحد، بل لقد أصبح من اشتراطات بعض الوظائف المتميزة أن يكون شاغلوها من خريجى مدارس اللغات. وليت الأمر يقف مرة ثالثة عند هذا الحد، بل لقد صار تعليم اللغات بمستوى رفيع مقروناً بمدارس اللغات وليس بغيرها من المدارس الخاصة أو العامة. الأمر الذى يعصف وبشدة بمختلف فرص العدل بين مختلف أبناء الوطن. لقد بدأت مدارس اللغات فى مصر كمدارس تتبع الإرساليات التبشيرية لتعليم أبناء الجاليات الأجنبية وفى نفس الوقت لخلق طبقة من الموظفين لرعاية مصالح هؤلاء الأجانب. وتطور الأمر بعد ذلك لتصبح تلك المدارس محط أنظار أبناء الطبقات المتوسطة والعليا فى المجتمع حين انحط مستوى التعليم فى المدارس العامة. فبزغت تلك المدارس لإصلاح عيوب المدارس العامة؛ وليس عيوب نظام التعليم العام فهذا أمر آخر. فمدارس اللغات لا تحل مشاكل عيوب نظام التعليم إلا فى جوانب محددة بدون التأثير فى منظومة التعليم ككل. لقد آن الأوان لأن نفرق بين تعليم اللغات والتعليم باللغات، رفعا لكفاءة العملية

التعليمية ككل ورغبة فى تعليم أبناء الوطن اللغات الأجنبية فى نفس الوقت؛ ناهيك عن منظومة الانتماء التى نحن فى مسيس الحاجة لتحديد أبعادها؛ فإن الربط بين التغريب وتعليم اللغات الأجنبية لإخلال بمبدأ العدل والمساواة بين أبناء الوطن الواحد. إن بسط تعليم متميز للجميع بجانب إعمال العدل لكفيلان بأن ينفضا عن أمتنا أثواب الجهل والتجهيل والتخلف لنتبوأ مكاننا الذى نستحقه بين الأمم. فإن أمن الفرد على حياته وعلى الحد الأدنى من المعيشة الكريمة تعلم ما عساه أن يبدع به لخيره ولخير أمته ولخير الأجيال القادمة.

أرى التأكيد على الاستمرار فى تدريس اللغات الأجنبية كلغات أجنبية فى معاهد العلم وبالطريقة التربوية السليمة حتى يمكننا استيعاب المستحدث من المعارف الوافدة من مختلف الثقافات والأمم على أن يتم ذلك بطريقة جادة. إن التدريس بلغة أجنبية يختلف أيما اختلاف عن تعليم اللغات الأجنبية كلغة أجنبية؛ بل إننى أرى تدريس أكثر من لغة أجنبية للطالب فى مراحل دراسته بطريقة جدية فاكتساب اللغة انفتاح على ثقافة أهل تلك اللغة. وما أحوجنا للانفتاح الجاد على مختلف الثقافات. كما أن تدريس اللغات يعطى ركيزة احتياطية لأى قصور قد ينشأ فى منظومة الترجمة التى سنجاهد من أجل أن ننشئها.

ويجدر الإشارة إلى أن التغريب لم يقتصر على ما يسمى بمدارس اللغات بل لقد امتد إلى التعليم العام فى رموز الكيمياء والفيزياء والرياضة حتى يترسخ فى ذهن الطالب أن العلم صناعة أجنبية. لقد أصبح تعريب التعليم؛ قبل أن يكون واجباً قومياً؛ ضرورة تربوية يفرضها إصلاح العملية التعليمية.

- **تعريب التعليم الجامعى:**

يقضى طلبة الكليات فى الجامعة الكثير من وقتهم وجهدهم فى اهدار واضح لهذا الوقت والجهد من خلال الدراسة بلغة أخرى غير اللغة التى يمارس بها الطالب حياته[١٦]. فنسبة لا يستهان بها من وقته تضيع (حتى فى السنوات النهائية للدرجة الجامعية الأولى) فى ترجمة المصطلحات؛ مما يؤثر على الوقت المتاح للتحصيل وبالتالى على مستوى استيعابه لأساسيات العلم المختلفة. وقادنى ذلك إلى النظر لمعرفة سبب تدريس العلوم بلغة غير لغة الأم فى مجتمعاتنا المتخلفة فلم أجد لها سبباً سوى محاولة تقليد كل ما هو أجنبى مما أودى بأمتنا إلى فقد الثقة فى نفسها وقدراتها. ودارت العجلة لتؤدى إلى دوامة التخلف الذى نعيشه فى مجتمعاتنا، حيث أننا وخلال ما يقرب من قرن كانت دراساتنا العلمية بلغة أجنبية ولم يؤد ذلك إلى تفوق ما؛ بل على العكس أدى ذلك بالإضافة إلى أسباب أخرى، إلى مزيد من التخلف عن ركب الحضارة. أإسهاماتنا فى مسيرة الحضارة الإنسانية قديما محل شك؟ وبالتالى أليس من حقنا وواجبنا أن يكون لنا حالياً إسهام واضح فى مسيرة التقدم؟ أم أن ذلك محاولة لتهوين كل قدراتنا ومحاولة لغرس الاعتقاد بأن كل ما هو متقدم إنما هو أجنبى؟ قد يكون ذلك حقيقياً فمما لا شك فيه أن الإحساس هو مولد الطاقات وقتل الإحساس بالعزة والانتماء سيفيد المتربص بأمتنا. إن تأثير التدريس بلغة أجنبية على انتماء الأفراد سلباً لهو بالأمر الواضح تماماً مثل وضوح تأثير عملية التدريس بلغة أجنبية على مستوى الاستيعاب.

---

١٦ محمود فهمى حجازى؛ تعريب التعليم الجامعى؛ ندوة مقومات التدريس الجامعى باللغة العربية؛ القاهرة؛ ١٣ أبريل ١٩٩٤م

إن نظرة سريعة إلى المجتمعات المتقدمة المعاصرة الأوربية منها والآسيوية وغيرها ليؤكد لنا أن استيعاب تلك المجتمعات للحضارة الحالية وإسهاماتهم فيها ما كان ليكون لولا تفاعلهم معها بلغاتهم وليس بلغة أجنبية. وهذا الذى يحدث إنما يدعمه أيضاً تاريخنا فإسهامات العرب فى جميع فروع المعرفة إنما كانت دائماً باللغة العربية وأظنها حقيقة؛ إلا من جاحد؛ ففضل العرب على التقدم العلمى لا ينكر يوم استوعبنا وأضفنا وطورنا وأبدعنا العديد من العلوم بلغتنا، وقتما كانت الشعوب الأخرى ترزح تحت ظلمات الجهل. لقد كانت العربية لغة العلم خلال عدة قرون، ومنها تم ترجمة المعارف، وهذا يؤكد حقيقة مؤداها أن لغتنا استوعبت تلك المعارف وتلك العلوم. إن حركات التقدم كانت دائماً تتلوا حركات ترجمة نشيطة. وهذه حقيقة فى جميع الحضارات سواء عند العرب قديماً أم عند دول آسيا وأوروبا حديثاً.

إنه لمن العسير أن نفرض على جميع الطلبة فى مختلف الكليات الجامعية الدراسة بلغة أجنبية من أجل أقل من الواحد فى المائة من الخريجين ممن يكملون دراساتهم العليا؛ إن صحت مقولة أن التغريب يمكننا من الاطلاع على الثقافات الأجنبية بيسر. وليس أدعى للتدليل على إمكانية دراسة اللغة بعد التخرج مما خابره أغلب الحاصلين على درجات الدراسات العليا من الجامعات الألمانية من أعضاء هيئة التدريس من أن دراسة مكثفة للغة الألمانية لمدة ستة أشهر تؤدى إلى أن يكمل الدارس دراسته بالألمانية لدرجة أنه يقوم بكتابة أطروحته بالألمانية أيضاً. تلك أمثلة نسوقها ليس للتدليل على إمكانية الحل لأن الإصرار وحده لكفيل بحل كل معضل؛ بل للتدليل على سهولة ذلك الحل أيضاً. أإسهاماتنا فى العلم بكل ثقلنا

الحضارى أكبر أم إسهامات شعوب لا يزيد تعدادها عن العشرة ملايين؟ إن إسهاماتهم تفوق إسهاماتنا بمراحل فهل لنا أن نلحق بهم بالعلم والعمل لا بالكلام؟

يعانى الهيكل الجامعى حالياً من قصور فى تركيبه يواكب قصور المجتمع فى تفاعلاته. وأقل ما يمكن أن يوصف به أنه جامد الحركة فالأستاذ يمكنه أن يتقوقع عملياً فى مكانه، والعالم من حوله يجرى فور ترقيته، مما يكون، بجانب بعض الأمور الأخرى؛ نموذجا غير مفيد للمجتمع بل ويمثل إهداراً للقيم والآمال التى طوق بها المجتمع رجالات الجامعة. والحل للمجتمع وللجامعة أن ينتهى هذا الوضع لننهى أستاذ الممات كى نمارس ريادتنا للمجتمع. أرى أن يلزم الأساتذة ومنهم الأساتذة المتفرغون؛ بالتأليف بالعربية أو الترجمة للعربية بمعدل كتاب كل خمس سنوات من قائمة موضوعات نطرحها ونحتاج لها فى جامعاتنا. إن هذه العلاقة الجديدة بالإضافة إلى اشتراط ترجمة كتاب للعربية أو تأليف كتاب بالعربية من قائمة موضوعات محددة عند الترقية لوظيفة أستاذ مساعد وأستاذ فى جامعاتنا ومعاهدنا العلمية لكفيل بأن ينهى مشكلة التعريب خلال بضع سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة. كما أرى استكمالا لمسيرة التعريب أن يلزم كل باحث بترجمة رسالته للماجستير والدكتوراه حال تخرجه من جامعة أجنبية كشرط للتعيين فى وظيفة مدرس بالجامعة إثراءً للمكتبة العلمية العربية. وأرى فى نفس الوقت أن تكتب رسائل الدراسات العليا باللغة العربية على أن تتضمن ملخصاً وافياً بلغة أجنبية لا يقل عن ربع حجم الرسالة. إن المشكلة الملحة التى تحد التدريس والبحث باللغة العربية هى توهم عدم توفر المراجع والكتب والدوريات باللغة العربية فى جميع البلاد العربية رغم ما قد بذل من جهد رائد فى بعض تلك البلاد حيث تتوفر كتب بالعربية فى جميع

مجالات العلم. إن تيسير تبادل الكتب بين القارئين بالعربية لجد مطلوب. كما أن توافر الأبحاث والمطبوعات حالياً على الوسائط الإلكترونية جعل الترجمة الآلية من اللغات الأجنبية للغة العربية هدفا قريب المنال. وأرى مساعدة مشاريع الترجمة الفعلية والمساعدة فى نشر الكتب العلمية بالإضافة لإشعار الأفراد بالعزة لإسهاماتهم فى مسيرة الحضارة وبالعزة تجاه لغتهم أقدم اللغات الحية والتى يتعبد بها أكثر من ١٢٠٠ مليونا من البشر، والتى يتعايش بها أكثر من ٢٥٠ مليوناً من البشر. كما أرى نشر الوعى بأهمية الترجمة كوسيلة لتنمية المجتمع.

إن الأبحاث التى نقوم بها بلغة أجنبية ذات فائدة مؤكدة، إن صلحت، لغير بنى قومنا ولكن فائدتها لبنى قومنا لا زالت محدودة فى قطاع بعينه، محجوبة عن الأمة بأسرها. لقد أصبح تعريب التعليم ونشر العلم بالعربية ضرورة تربوية للعملية التعليمية وضرورة تنموية للقطاعات الكادحة من أبناء شعبنا. لقد نشطت حركة الترجمة فى ستينيات هذا القرن ولم يواكبها تعريب التعليم فباتت الكتب مكدسة فى المخازن تبكى الجهد الموضوع فيها. وحالياً نجد العديد من الكتب المترجمة ومن المؤلفات العلمية بالعربية لكن المترجمون والمؤلفون لا يدرسون ذات الكتب التى أسهموا فيها ويلجئون للتدريس من كتب باللغات الأجنبية. وأرانى أتساءل لم لا يقوم كل من بذل جهداً فى مجال التعريب أو التأليف بالعربية بالتدريس بالعربية؟ أهو تناقض ذاتى؟ وأرانى أتساءل مرة أخرى إن لم نحكم على سواء الشخصية من أفعالها فبماذا نحكم أم أننا فى الأغلب لم نفكر فى خطورة قضية التعريب؟ أرانى أميل للرأى الأخير وأرانى أتمنى أن ندرك أبعاد القضية قبل أن ننزوى فى غيابات التاريخ.

إنه لمن المهم ألا نضع عبئاً إضافياً على الحكومة ولنبدأ بأنفسنا ولنكون قدوة بنشر أبحاثنا ورسائلنا العلمية وكتبنا بالعربية. إن التدريس بأى لغة أجنبية لهو مؤامرة على قدرات هذا الشعب حتى لا يستوعب التقنيات الحديثة. ولنبدأ بأنفسنا كل فى موقعه ولتكن الريادة لجامعاتنا فى هذه المسيرة نحو التعريب.

- **المصطلحات:**

لقد درج كثيرون فى الفترة الأخيرة على تعريب المصطلح باعتباره وسيلة للحفاظ على نطق المصطلح الأجنبى حتى يمكن أن يتواصل القارئ مع المطبوعات الأجنبية حال عدم ترجمتها[١٧]. وللأسف درج البعض على تلمس الأسباب المختلفة لتنفيذ ذلك. واستشرى الأمر إلى استعمال بعض الكلمات بنطقها الأجنبى التى لها ترجمة عربية بل وصل الأمر إلى وضع تلك الألفاظ فى موازين الصرف العربية. ومن الواضح تعارض ذلك التوجه مع هدف نقل المعلومات من لغة إلى لغة أخرى والذى هو هدف ترجمة المطبوعات المختلفة سواء العلمية منها أم الأدبية، وسواء أكان ذلك بالنسبة للمصطلحات أم بالنسبة للرموز. وليس بِخافٍ اختلاف الدلالة الثقافية لبعض الألفاظ المترجمة إلى اللغة العربية عن دلالتها فى لغتها الأصلية ولذلك عواقب ثقافية كان من الممكن تداركها حال توخينا الدقة فى ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية. وفى نفس الوقت. ألا يدعو الأمر إلى بذل الجهد فى ترجمة المصطلح الأجنبى وليس تعريبه. أليس ذلك أحد أسباب تفشى ظاهرة استخدام الألفاظ الأجنبية حالياً فى

---

١٧ محمد يونس الحملاوى؛ جدوى ومحاذير تعريب الألفاظ والمصطلحات بدلاً من ترجمتها؛ الندوة الدولية السادسة للأدب المقارن؛ القاهرة؛ ٢١-٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م

الكتابة والحديث، مع أسباب أخرى منها الرغبة فى إمرار مفاهيم اجتماعية وثقافية بعينها خلف تلك الألفاظ؟

وحين نضع المبادئ والمسلمات لمسيرة التنمية من خلال مسيرة التعريب نتعرض لقضية المصطلحات ولئن كان توجهنا هو الارتقاء بمستوى تعليمنا وثقافتنا فلنترفق فى إدخال الكلمات العجماء إلى لغتنا. وليكن محركنا هو نقل وتيسير المعارف الحديثة للمتلقيين. إن رغبتنا فى القفز إلى النتائج على افتراض حسن النية، لا ينبغى لها أن تحجر على البناء الطبيعى للمصطلحات فتوليد المصطلحات الجديدة يأخذ دائماً وقتاً فى جميع اللغات ولست أضيف جديداً بمقولتى أن توليد مصطلح جديد فى اللغة الانجليزية على سبيل المثال للمخترعات الحديثة يأخذ العديد من السنين تشيع فيها عدة مصطلحات لفترة إلى أن يشيع المصطلح الأدق بل إن الأمر هناك أصعب بكثير من إشكالية المصطلحات فى لغتنا؛ فالأمر هناك لا يقتصر على تضارب الآراء بل تدخل مصالح العلميين والمنتجين والمستخدمين لتزيد من صعوبة توليد المصطلح الجديد.

وأرانى أضع أمام عينى ملحوظة عن تعريب المصطلح مؤداها أن التعريب يلزم أن يكون بالمدلول فهذا هو ذات هدف التعريب ولأن الهدف من التعريب هو أن ينطبع المصطلح فى الذهن مما يساعد على فهم واستيعاب المادة العلمية. فالاسم الأجنبى مهما بدا سهلاً فهو طلسم لا يثير فى الذهن نفس المفاهيم التى يثيرها فى ذهن من كان ذلك المصطلح بلغته الأم. فأى فائدة ترجى من استبدال لفظ أجنبى بلفظ آخر غير ذى مدلول؟ إن هذا هو ما يتم فى

اللغات الأجنبية التى تحافظ على هوية أبنائها مثل ترجمة كلمة حاسوب فى الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات، فذلك يكون حسب المحتوى والمضمون. أما استعمال كلمة أجنبية للمصطلح مهما كانت شائعة فهذا إهدار لإعمال العقل وما كان للكلمة أن تشيع لولا تقاعسنا عن بذل الجهد المطلوب فى الوقت المناسب.

ومن باب الحرص فى تعاملنا مع قضية المصطلحات يلزم التنويه إلى أن السماح باستعمال الأسماء للمصطلحات سواء المشتق منها من اسم عالم أم استعمال الاسم الأجنبى مروراً بقائمة توجهات بعيدة عن جوهر العربية لنصل فى النهاية إلى أن نشتق أم ننحت اسماً عربياً بات توجهاً قاصراً يقتص من العربية ولا يضيف إليها. إن توليد المصطلح للبنة فى البناء، ولا جدوى من توليد مصطلحات لا تنسجم مع نسيج العربية. إن تعويق مسيرة التعريب تحت دعاوى استكمال المصطلحات؛ والتى تزداد يوماً بعد يوم؛ لفرية سخيفة يراد بها أن نوقف مسيرة التعريب، خاصة إذا علمنا أن نسبة الكلمات العلمية فى المراجع العلمية محددة فهى فى مراجع الطب على سبيل المثال لا تزيد عن ٣,٣%. إن خير وسيلة لاستكمال مقومات تعريب التعليم هى الشروع فيه، دون تسويف أو توان.

- **أمن خطوة تالية؟:**

فى مسيرتنا الحالية لتلمس طريق يعيد لنا أمجادنا وجدتنى أمام العديد من الشواهد التى ما فتأت تذكرنا بلغة قومنا وقتما بدأت نهضتنا العلمية منذ أثنى عشر قرناً من الزمان. لقد كانت نهضتنا بعد مرحلة ترجمة استوعبنا فيها ما وجدنا تلتها مرحلة إبداع أوصلتنا إلى أن يكون

لنا أطول حضارة علمية عرفها التاريخ. ثم يعيد التاريخ نفسه فى عهد محمد على باشا، فكان لنا إسهام وصناعة وقفت لها أوروبا بالمرصاد، فدمرت لنا أسطولنا وفرضت علينا ضمن ما فرضته تقويض جيشنا لدرجة يندر معها أن نجد من يرضى ذلك لأمته. وكانت رفعتنا فى ذلك العهد أيضاً بعد حركة ترجمة نشطة. وليس هذا دليل على أهمية تعريب العلوم بل هى تقرير لواقع كان لنا منه نصيب؛ فما من شعب نال حظاً من التقدم إلا وكان إبداعه بلغته. وكما يثبت التاريخ أن التقدم لا يكون إلا بلغة القوم فإن الجغرافيا أيضاً تؤكد ذلك سواء فى شرقنا الأدنى أو الأوسط (حسب تعريف ليس من وضعنا) أو فى أوروبا أو فى جميع الدول التى استطاعت أن تنفض عنها أغوار الذل والتخلف فى العديد من أرجاء المعمورة.

إن إنشاء لجان للتعريب فى مختلف التجمعات من نقابات وهيئات ومؤسسات لتضطلع بدورها فى تأصيل وترسيخ العلم فى مجتمعنا ومنها ترجمة العلوم والمعارف، لهو مطلب أقل ما يوصف به أنه حيوى. وليكن هذا أحد الأدوار التطوعية التى يقوم بها الشعب فليس من المعقول أن ننتظر دائما مجهودات الحكومة وكأننا مسلوبى الإرادة. إن استخدام التقنيات الحديثة مثل الترجمة الآلية فى مسيرة التعريب بات مطلوباً خاصة مع وجود بعض الأبحاث الجادة فى هذا المجال فى جامعاتنا، والتى يجب أن نستعمل نتائجها من خلال توجه جاد أرى فيه صورة شعبنا. وليس الأمر بالعسير فهذا المشروع الحضارى لينقل المعارف لشعبنا سيساعد بلا شك فى أن ننفض عن أمتنا أقنعة الهوان.

إن التعريب لقضية قومية علينا جميعاً أن نبذل الجهد لإنجازه وهو مشروع حضارى فى ذات الوقت، فالعربية تمثل هوية الأمة بالإضافة إلى أنها قضية إصلاحية لا تنفصل عن إصلاح التعليم والثقافة بمستوياتها المختلفة. ولهذا يجب أن يلزم كل فرد نفسه بالقيام بدور إيجابى فى هذه القضية ولنعمل جميعاً يداً فى يد لنعيد للأمة مجدها. وفى هذا المضمار يجب أن نسعى لتكوين الجمعيات العلمية لتعريب العلوم على مستوى الوطن العربى بقصد تبنى قضية التعريب وعدم التوانى عن بذل أى جهد لإعلاء شأن العربية لغة وثقافة وحضارة لنعيد لها وجهها المشرق ثانية. وعلينا أن نبدأ بأنفسنا بتكثيف تعاملاتنا باللغة العربية بهدف تعريب الشارع العربى وإن نكثف كتاباتنا العلمية بالعربية وأن نقوم بنشر أبحاثنا بالعربية بهدف سيادة اللغة العربية على خطاب المؤتمرات العلمية. مع التأكيد دوماً على عنصر المبادءة بأن يبدأ كل فرد بنفسه. ولندرك أنه بجهاد الجماعات العلمية، والنقابات المهنية، وقناعة أساتذة الجامعات يمكننا أن نتغلب على أية مصاعب يمكن أن تصادفنا فى مسيرة التعريب. ولنضع نصب أعيننا أن إيجاد آلية تضم الجهود ومعظم المحاولات المختلفة فى هذا المجال سوف يسرع بنا الخطى لدفع أمتنا إلى مكانها الذى تستحقه.

٥.جزئيات منظومة تعريب التعليم:

يمكننا تلخيص جزئيات قضية التعريب وعلاقتها بمنظومة المجتمع فى النقاط التالية:

- تشير الدراسات إلى أن النظام العالمى الجديد لا يتعارض بل ويستلزم الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية للدول والقوميات المختلفة. ففرنسا وهى من أقطاب العولمة والنظام العالمى الجديد أصدرت عام ١٩٩٤م قانوناً يحذر استعمال أية لغة

أجنبية أو حتى كلمات أجنبية فى الخطاب العام والخطاب الخاص، سواء أكان ذلك فى لغة الحياة العامة أم فى الوثائق والمستندات. كما لا يغيب عن بالنا تحذير الرئيس الفرنسى شيراك من محاولة سيطرة لغة واحدة على العالم.

- **توصى منظمة اليونسكو وباستمرار بتدريس العلوم باللغة القومية.**

- **تنص اتفاقيات اليونسكو مثلما تنص اتفاقيات منظمة التجارة العالمية، التى تشكل أساس نظام العولمة، على ضرورة الحفاظ على الخصوصية الثقافية للقوميات والدول المختلفة. وبدون اللغات القومية فستصبح مساهمات مختلف القوميات فى النظام العالمى الجديد هامشية.**

- **لقد تم فرض اللغة الأجنبية فى معاهد العلم فى مختلف الدول التى اكتويت بنار الاحتلال بواسطة المحتل نفسه. ولا أظن أن المحتل كان يضمر للشعوب التى يحتلها الخير حتى يفعل ذلك.**

- **اللغة رمز للهوية والقومية والثقافة فإن حصرناها فى مجال الرطانة والحديث غير العلمى قضينا على لغتنا فى مرحلة لاحقة.**

- **إن تدعيم العلاقات البينية بين مختلف فروع المعرفة (بين الطب والهندسة والفلسفة والتجارة والحاسبات وغيرها من العلوم) لهو مطلب حيوى فى مسيرة تقدم العلم الحالية ولا يمكن إنجاز ذلك بغير اللغة الأم. وبالتالى فإن التدريس بغير اللغة**

الأم سوف يحصر العلوم فى مربعات صغيرة وسيقضى على تلك العلاقات البينية بين مختلف العلوم.

- **لا تعارض بين استخدام وسائل التقنيات الحديثة ومنها الحاسبات واستعمال اللغات القومية بل العكس هو الصحيح فيمكن استعمال وتطوير تلك الأدوات والمعارف بسهولة ويسر مع مختلف اللغات القومية.**

- **علاقة اللغة القومية بالعلم والتقدم علاقة عضوية، وتشير مسيرة الدول المختلفة إلى ضرورة العبور لمجال العلم من خلال بوابة اللغة القومية حتى يمكن لأى مجتمع أن ينتج أو يساهم فى إنتاج الحضارة. ونشير إلى الفرق الكبير بين الحضارة واستهلاك الحضارة.**

- **حيث أنه لا يمكن تغيير لغة شعب بأسره، فإن الحل الوحيد حتى يمكن لهذا الشعب أن يضيف أية إضافة فى مضمار الحضارة أن يترجم الشعب لنفسه مختلف العلوم حتى يستوعبها ثم يبنى عليها. كما أن عدم استيعاب الشعب للعلوم سوف يحوله إلى مجموعة من النشاطات الهامشية الخدمية ليسهل اجتثاثه من خريطة الشعوب فى مرحلة تالية.**
- **لم يعرف التاريخ أو الحاضر أمة من الأمم نهضت بدون أن تعبر بوابة الترجمة حيث أن فهم المعارف لا يتأصل فى وجدان الشعب بمختلف طبقاته إلا من خلال اللغة الأم.**

- لا يمكن أن يصير العلم حرفةً للمجتمع إلا من خلال اللغة الأم وإلا أصبح أى تقدم علمى فى المجتمع مبتور ومحكوم عليه بعدم الاستمرارية. وواقع العديد من المجتمعات يشهد بذلك.

- المصطلح العلمى جزء من قضية التعريب ولكنه ليس كل القضية. ولكن نشير إلى أن المصطلح الأجنبى لا ييسر للدارس أو للممارس فهماً أعمق كما لا يتيح لمستعمله عمقاً فى الفهم، بل العكس لهو الصحيح. وعلى سبيل المثال فإن كلمة تليفون لا تعنى للفرد العربى أى مدلول وهى بالنسبة له صوت يمكن أن نطلقه على أى شىء. أما نفس الصوت بالنسبة للفرد الإنجليزى تعنى تركيبة لغوية ذات مدلول، فهى تعنى مفهومين هما مقطع "تيلى" وهو يشير إلى البعد، ومقطع "فون" وهو يشير إلى الصوت. وبالتالى فإن كلمة تليفون تثير فى ذهن المتلقى الإنجليزى مفهوم الصوت ومفهوم البعد، ولكنها لا تثير فى ذهن الفرد العربى أى شئ من هذا القبيل. فهل استعمالها فى اللغة العربية يرسخ ويسهل العلم والمفاهيم؟ وهل من الأفضل أن نستعمل كلمة هاتف التى تعطى مفهوم الصوت ومفهوم البعد فى نفس الوقت؟ قد لا تكون كلمة هاتف هى الأمثل ولكن الشئ المؤكد أن كلمة تليفون لا ترسخ فهماً ولا علماً ولن تمكننا من اللحاق بركب الحضارة.
- لقد استوعبت اللغة العربية العلم قديماً ولم تقصر عن ذلك حديثاً، فهى تستعمل كلغة علم فى بعض الدول العربية. ويشهد التاريخ أن العرب قد ابتدعوا علوماً مهمة فى مسيرة الحضارة الإنسانية مثل الجبر وغيره من خلال اللغة العربية وحدها.

- إن الشروع فى التدريس بالعربية فى جميع المراحل الجامعية وقبل الجامعية وفى جميع التخصصات وفى جميع المواد لم يعد مطلباً هامشياً بل إنه يقع فى صلب عملية دفع المجتمع للأمام.

- جميع أمم العالم المتحضرة تدرس العلوم من طب وهندسة وغيرها بلغاتها القومية. والعرب ليسوا استثناء من هذه القاعدة إن أرادوا اللحاق بقطار التقدم، فهكذا أثبت تاريخ العرب وهكذا يثبت حال العالم الآن.

- لا تشير أية دراسات إلى تدنى مستوى تدريس الطب أو غيره باللغة الأم فى أى مجتمع من المجتمعات سواء أكان ذلك فى الدول العربية أم فى غيرها من الأمم.

- قضية التعريب فى جانب كبير منها تربوية وتقف بجانب قضية رفع مستوى التعليم.

- تعلم اللغات الأجنبية مطلب هام ومهم ويجب التفرقة بينه وبين قضية التدريس باللغات الأجنبية فكلتا القضيتين تختلفان عن بعضهما تماماً. فقضية تعلم اللغات الأجنبية مطلب إيجابى يدفع الأمة للأمام، أما التدريس باللغات الأجنبية فمطلب سلبى يسطح المفاهيم ولا ينتج علماً أو حضارة.

- عملية النهضة لابد من أن تشمل المجتمع ككل والأفضل اقتصادياً أن نترجم العلم لا أن ننفق المليارات لنغير لغة المجتمع إلى لغة أجنبية. كما أن ذلك التغيير سيتطلب سنوات عديدة ولن يصل إلى نتيجته مطلقاً حيث لن يمهلنا الحاضر تلك السنوات.

- إن تجزئة قضية التعريب بالبدء فى الكليات العملية ببعض المواد الثقافية لن ينتج علماً بل سيضر بمسيرة التعليم. إن تصنيف العلوم لعلوم مهمة وعلوم هامشية سيضر بتكامل المعرفة ولن يضع العلم فى مكانه الصحيح بالنسبة للمجتمع.

- من مستلزمات التعريب توفير الكتاب التدريسى وتوفير المراجع وهذا الأمر يتطلب تنسيقاً للإمكانيات ومعه الشروع الفعلى فى تنفيذ تدريس العلوم باللغة العربية. فتوفير الإمكانيات والتنسيق بينها بدون مجال حقيقى للتطبيق سوف يعتبر إهداراً للموارد. ولهذا فالشروع فى التعريب وفوراً هو خير دافع لإنجاح قضية التعريب.
- تم قياس سرعة قراءة مختلف المواد باللغة الأم وبلغة أجنبية فكانت النتيجة فى صالح اللغة الأم.

- تشير الدراسات إلى وجود علاقة عكسية بين التعلم والتدريس بلغة أجنبية والانتماء.

- **تشير الدراسات إلى أن نسبة محسوسة من وقت الطلبة يضيع فى عملية ترجمة الكتب الدراسية.**

- **تشير الدراسات إلى أن تلقى العلم بلغة أجنبية لا يعمق المفاهيم بل يسطح المعلومات.**

- **تشير الدراسات إلى أن تدريس المواد العلمية باللغة العربية فى المدارس يعطى نتائج أفضل فى مرحلة الدراسة بالجامعة كما يشير إلى أن استيعاب العلوم باللغة الأم أكفأ من الوجهة التعليمية.**

- **تشير الدراسات إلى أن إتقان اللغة الأم فى المدارس يرفع كفاءة العملية التعليمية ككل.**

- **تشير الدراسات إلى أن الاستيعاب باللغة الأم أفضل بدرجة كبيرة، كما أن ذلك يعمق استيعاب المفاهيم العلمية عامة، ويعظم مردود العملية التعليمية ككل.**

٦.التعريب دعوة للتقدم:

تصب قضايا تعريب العلوم والارتقاء الحضارى والعولمة فى مجرى واحد لا تعارض بين مفرداته. فقضية تعريب العلوم ذات أبعاد متعددة منها الثقافى ومنها اللغوى ومنها الوطنى وكلها فى جميع الدول التى نالت حظاً من التقدم قديماً وحديثاً تتناغم لتصب فى منظومة

التنمية. فالحفاظ على الهوية الثقافية لأى شعب من الشعوب المتقدمة يلزمه الحفاظ على اللغة وعاء الثقافة والحضارة وهو ما يتناغم مع مفهوم الوطنية وفى نفس الوقت مع رفع كفاءة العملية التعليمية وبسط العلم والمعرفة للكافة[١٨]. وهذا الأمر لا يمكن تحقيقه إلا من خلال اللغة القومية. وعلى جانب التعليم أثبتت الدراسات أن كفاءة التعليم تتناسب طردياً مع درجة استخدام اللغة الأم كلغة للتعليم مما يلفت النظر إلى ضرورة دراسة دوافع استخدام اللغات الأجنبية كوسيط تعليمى فى العديد من المؤسسات التعليمية حالياً وإلى تعاظم ذلك الاتجاه. كما أننا فى دراستنا لمنظومة الانتماء والولاء نجد أن اللغة الأم هى إحدى مكونات تلك المنظومة مما يشير أيضاً إلى ضرورة إعادة النظر فى درجة استخدام اللغات الأجنبية فى نظامنا التعليمى الذى بات يعانى من تعددية فى مكوناته ومنها مكون القيم.

إن منظومة التعليم تتدرج فى ثلاثة مستويات أولها الترديد ثم الاستيعاب وثالثها الإبداع ولا يمكن أن نصل لمرحلة الإبداع على مستوى الأمة إلا من خلال اللغة القومية فالاستيعاب يعنى الفهم الكامل لكافة دقائق العلم ولا يتأتى إلا من خلال اللغة القومية. كما أن بسط العلم بلغة أخرى فى بلد تقترب فيه نسبة الأمية من الخمسين فى المائة يدعو للاستفسار عن الدوافع وراء ذلك سواء أكان هذا التوجه فى المؤسسات الحكومية أم فى غيرها من المؤسسات لأن من نتعامل معه فى كلتا الحالتين هى عقول وأفئدة أبناء هذا الوطن. وتشير مؤشرات كفاءة التعليم إلى تدنى منظومة التعليم فى مجتمعنا مما يدعو إلى شحذ كل الهمم لإصلاح هذه

---

١٨ محمد يونس الحملاوى؛ تعريب العلوم والارتقاء الحضارى والعولمة؛ المؤتمر الدولى للدراسات الإنسانية والارتقاء الحضارى فى عصر العولمة؛ القاهرة؛ ١٣-١٥ نوفمبر ٢٠٠٠م

المنظومة بدلاً من غض الطرف عنها على أحسن الفروض. وتتوازى منظومة الثقافة مع منظومة التعليم فى تدنيها مما يدفع المجتمع إلى البعد أكثر عن الأخذ بأسباب التقدم وهو ما يمكن استشعاره فى العديد من المواقف منها تدنى حجم إنتاجنا من الكتب سنوياً ومنها الازدواجية اللغوية فى لغة الحديث عند البعض! إن نظرة الدونية التى يتعامل بها البعض مع الآخر هى إحدى أسباب تراجعنا الحضارى. ولهذه النظرة عدة مؤشرات منها البعد عن صحيح اللغة نطقاً وكتابة ومنها استعارة مفردات أجنبية فى حديث الخاصة والعامة على حد سواء. لقد وصل الأمر إلى اعتبار هذه الاستعارة هى نقطة الانطلاق فى بعض الدراسات فوجدنا الإسراف فى تعريب المصطلحات بدلاً من ترجمتها ووجدنا الادعاء بعقم قواعد اللغة والدعوة إلى تبسيطها وكلها مفردات فى آليات هدم صحيح أقدم لغة حية فى العالم. والأمر الملفت للنظر أن الدراسات التربوية فى مجال علم اللغة التربوى مازالت فى بداياتها فى مجتمعنا العربى، مثلها مثل دراسات علم اللغة الاجتماعى.

لقد قدمت العولمة الآليات والقوانين التى تزكى الحفاظ على الذاتية الثقافية للشعوب ولكن هذا مرهون بإرادة تلك الشعوب ورغبتها فى الاستفادة من تلك الآليات ومن تلك الآليات على سبيل المثال حقوق المؤلف للمواد المترجمة الذى وازنت فيه اتفاقيات الملكية الفكرية بين مصلحة المؤلف واحتكار المعرفة. كما أن من تلك الآليات ما يتعلق بالذاتية الثقافية للشعوب المختلفة والحفاظ عليها. ويجدر الإشارة إلى أن ذلك كله متاح فقط حال الرغبة فى الحصول عليه؛ فما هو متوهم من تبعات للعولمة أكبر بكثير من الحقيقة، فالعولمة لا تعنى إلغاء التعددية الثقافية أو اللغوية بل على العكس تكرس ذلك لمن يرغب فى الحفاظ على ثقافته بحزم وترحب بهضم

وابتلاع من يتقاعس عن ذلك. ولا يعنى ذلك سهولة ويسر الوصول إلى مكان لائق بلغتنا العربية خامس اللغات الأم فى العالم، خاصة مع محاولات البعض داخلياً وخارجياً اجتثاث اللغة العربية والحرف العربى والرقم العربى والرمز العربى من حياتنا، بل يستحث ذلك الهمم لبذل الجهد للحفاظ على لغتنا وثقافتنا ودفع المجتمع دفعاً إلى الأخذ بمفردات العلم الحديث وآلياته بأفضل الطرق وأعلاها كفاءة وهو ما يعنى استخدام اللغة العربية كوعاء للعلم فى مجتمعنا، حتى يكون عملناً موضوعياً يتسم بالشفافية التى تنادى بها العولمة! لقد بات وضع اللغة القومية فى موضعها الصحيح جد مطلوب ليس فقط للحفاظ على المجتمع بل أيضاً لدفعه إلى مكان احتله قديماً ثم تقاعس عن الحفاظ عليه حديثاً.

٧.تعريب التعليم فى سياق التنمية:

يقول ابن خلدون فى مقدمته أن المغلوب مولع دائماً بالغالب فى مأكله ومشربه وملبسه. وأظن أن هذا هو ما يفسر لنا طوفان الكلمات الأجنبية التى يلوكها المجتمع صباح مساء ولا يدرى مدلولها غالباً. تلك الكلمات سلبت لغة المجتمع من عقول أفراده ولم تستبدلها إلا برطانة غاب مدلولها، فقطعت فئات المجتمع إرباً إرباً، ولم تنتج طيلة أكثر من مائة عام أى تقدم حقيقى أو أى إبداع حقيقى. ولنتساءل هل تم النظر إلى لغة الحوار بين مختلف أوجه العملية الإنتاجية آخذين فى الاعتبار ما للغة من أهمية كعنصر تلتف حوله بعض المنتجات؛ ومنها منتجات ذات تقانة عالية كالحواسب؟ وهل يتم التعامل مع اللغة على أنها عنصر مهم فى التعامل مع المنتجات سواء المستوردة أم المحلية؛ رفعاً لكفاءة استخدام الآلات والمعدات وتوطيناً

لتقنياتها ومحواً للغرابة عنها؛ وهو أمر يستدعى فى كثير من الأحيان تقييس توصيف تلك المنتجات وتلك التعاملات؟ وهل تم النظر إلى اللغة كأداة توطين للصناعة وكأداة لتعظيم الاستفادة من المنتجات؟ هذه المنظومة تدعونا إلى أن نقارن بين شعب يفرض على من يستعمل لفظاً أجنبياً له بديل محلى غرامة مالية وبين شعب تقف لغته منبوذة فى وسط معترك حياته! وتدعونا أن نقارن بين شعب تتناغم منظومة عمله من خلال لغة مشتركة يفهمها الجميع وبين شعب يقطع أوصاله إرباً حين يفرض على كل تخصص لغة أجنبية ليمنعه من التواصل مع غيره من التخصصات وليفصل بين مختلف شرائح التخصص الواحد!

من العجيب أننا حينما نتحدث عن التنمية نغفل فى أحيان عديدة آليات تلك العملية المؤسسية التى تنطلق من واقع حاضر لتصل إلى واقع مستقبلى! هذا التغافل الذى يكاد أن يكون سمة للمجتمعات المتخلفة لا يجب أن يمس مختلف مهن المجتمع مساً. وحينما نتحدث عن التنمية فلابد لنا من أن نتحدث عن الهندسة التى تعنى بالتعريف العمل على أرض محددة لبناء مُنشأ محدد المعالم يحقق أغراضاً محددة بأقل التكاليف فى أقل وقت! هذا التعريف الذى يشمل مختلف أعمال الهندسة بات للأسف غائباً عن بعض مهندسينا حينما يجرهم لهيب العمل بعيداً عن منطقية الهندسة. من خلال العديد من الآليات التى يجب أن تتفاعل مع بعضها البعض حتى يمكننا أن نلحق بركب التقدم تبدو اللغة كأحد آليات منظومة التنمية، خاصة حينما تثبت البحوث العلمية أن الاستيعاب قرين بسط المعلومة باللغة القومية. ألا يأتى الإبداع إلا بعد الفهم الذى لا يأتى إلا بعد الاطلاع؟ هل يمكن لهذه السلسلة أن تتناغم من خلال لغة أجنبية؟

فى بدايات عصر النهضة العربية وطيلة عصور نهضتنا كانت إضافاتنا بلغتنا العربية. والشىء العجيب فى قضية التعليم الهندسى الذى نسعى جميعاً إلى تطويره أنا نتناسى عنصر اللغة ونخلط الأوراق حينما نُعلِن أن العلم غربى ولابد من استيعابه بلغته. هلا بحثنا عن أى حضارة قديمة أو حديثة أضافت بغير لغتها! لم نكن نحن العرب استثناءً من هذه القاعدة فهل نحن الآن استثناءً من المدنية التى أضفنا إليها الكثير فى عصرنا الحالى حتى لم يتبق لنا منها أى شىء؟! هلا بحثنا عن سبب تعريب بعض التخصصات مثل الهندسة المدنية وهندسة العمارة وهندسة التخطيط. أليس المهندسين أول الفئات التى تتسم أعمالهم بمنطقية التفكير الذى يرتب النتيجة على السبب والذى يعى أن تعليم اللغات الأجنبية أمر إيجابى أما التعليم باللغات الأجنبية أمر سلبى؟ هلا حافظنا على ريادة الهندسة التى تنأى عن أن تكون مجرد خطبة عصماء بل عمل وإرادة تلعب فيها اللغة دوراً ما! إن الطريق الوحيد للتقدم يكمن فى العلم، ويكمن فى المنهج العلمى الذى تجسده الهندسة كعلم رائد فى مضمار الحضارة الإنسانية، علم يربط العلم بالتعليم بالتنمية. إن سعينا الحثيث للنهوض بأمتنا يتطلب منا أن نُفَعِل العلم. لقد عزف البعض عن ميدان تعريب العلوم وخاصة العلوم الهندسية بُغية توهم اللحاق بعلم الدول التى سبقتنا فى مضمار الحضارة متناسين قدرة لغتنا على استيعاب العلوم بالعربية ومتناسين أن قضية التعليم بالعربية لا تعنى تناسى تعلم اللغات الأجنبية بل هى قضية كفاءة لمنظومة التعليم، يحق على المهندسين أن ينافحوا عنها. لقد تناسينا توجه المبادئ التربوية التى تربط التعلم والاستيعاب باللغة القومية. إن علاقة التفوق باللغة القومية علاقة تلازم تؤكدها إحصاءات التفوق فى معاهدنا الهندسية. كما أن تعريب التعليم الهندسى ليصب فى نهر تأكيد الهوية الثقافية العربية بصورة علمية تؤكد على أن تواصلنا مع

الحضارات الأخرى بأعلى معدل أمر لا يمكننا تحصيله إلا من خلال التعليم باللغة العربية فى مختلف مؤسساتنا التعليمية وخاصة فى مؤسساتنا الهندسية بدءً من أقل المهن الحرفية ومروراً بمختلف مراحل التعليم الهندسى.

إن توطين التقنية يعنى ربط مهنة الهندسة بالمجتمع ولا يتأتى ذلك إلا من خلال اللغة القومية. إن مناقشة قضية الرموز العلمية من وجهة النظر التربوية نجدها تؤكد الخصوصية الثقافية لكل أمة دونما انعزال عن الأمم الأخرى بل وبالتفاعل معها من خلال بوابة الترجمة التى لم تنشأ حضارة أو تستمر إلا من خلالها. ونؤكد على مسئولية المهندس فى تعامله مع التقنيات والمنتجات الحديثة وضرورة تطوير منظومة العمل الهندسى التى لا يمكنها التفاعل إلا من خلال لغة واحدة، بدءً من تبسيط أساسيات العلم ومروراً بتعليمات الأمان فى للمعدات التى غالباً ما تكون بلغة لا يفهمها من يتعامل مع تلك المعدات!

إننا حينما نناقش تأثير لغة التعليم على كفاءة العملية التعليمية سوف نخلص إلى أن الكفاءة مرتبطة بالتعليم باللغة الأم (اللغة العربية) سواء فى التعليم الجامعى أم فى التعليم قبل الجامعى. ونكرر أن التعليم بلغة أجنبية ذا مردود سلبى بينما تعليم اللغات الأجنبية ذا مردود إيجابى. وهذا الأمر يبدو واضحاً من خلال استعراضنا لنتائج الدراسات التى أجريت على طلاب كلية الهندسة جامعة عين شمس وعلى طلاب المرحلة الإعدادية فى التعليم قبل الجامعى حيث أدى التعلم باللغة العربية فى المرحلة قبل الجامعية إلى التفوق فى المرحلة الجامعية. وهذا الأمر أكدته نتائج كثير من الدراسات على العديد من الكليات العلمية فى جامعتى عين شمس

والقاهرة، وكذلك الدراسات التى أجريت على طلبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة وعلى طلبة قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة وكلها تشير إلى إيجابية دراسة مختلف العلوم باللغة العربية فى مرحلة التعليم قبل الجامعى. وهذا كله يشير إلى ضرورة تقييم تجارب التعليم باللغة العربية وباللغات الأجنبية فى مختلف ربوع أمتنا العربية وتأصيل التدريس باللغة العربية واعتبار ذلك قراراً تربوياً تنموياً بالدرجة الأولى وليس قراراً سياسياً.

تعتبر قضية توطين التقنيات (التكنولوجيا) أحد أساسيات دفع المجتمع إلى الأمام، ومن ثم تأتى قضية ربط مختلف أوجه العملية الإنتاجية من خلال لغة واحدة من بديهيات أية منظومة فاعلة حتى تتكامل أعمال مختلف التخصصات الفاعلة فى منظومة الإنتاج أفقياً إضافة إلى التكامل الرأسى داخل التخصص الواحد بمستوياته المتعددة. وهذا يدعو إلى اعتبار اللغة عنصر توطين للصناعة وأداة لتعظيم الاستفادة من المنتجات فى ذات الوقت، وهو ما سوف يؤدى إلى تطوير مهنة الهندسة ذاتها نتيجة الممارسة الحقيقية بين مختلف عناصر العملية الإنتاجية ومن ثَمَّ تفاعل تلك العناصر مع بعضها داخل وخارج القطاعات الهندسية التى بات الكثير منها مجالاً خصباً لمنظومة الهندسة[١٩].

١٩ محمد يونس الحملاوى؛ توطين التقنية (التكنولوجيا)؛ ندوة آفاق الصناعة المصرية فى مدخل الألفية الثالثة؛ القاهرة؛ ١٥ نوفمبر ١٩٩٩م.

وعلى الجانب التعليمى سواء فى الجامعة أم فى المعاهد الفنية أم فى الدورات التدريبية بعد ذلك نجد أن للغة دوراً متنامياً فى إصلاح مسار التعليم ومنه التعليم الهندسى[٢٠]. وتشير الدراسات إلى أنه بتحليل نتائج طلبة إحدى كليات الهندسة أخذاً فى الاعتبار نوعية المدرسة التى حصلوا منها على الثانوية العامة ولغة تدريس المواد فى المرحلة الجامعية، يمكننا استنباط بعض المؤشرات التى تشير إلى سلبية الدراسة باللغات الأجنبية كلغة تعليم فى مصر سواء فى مرحلة التعليم العام أم المرحلة الجامعية، بعكس التوسع فى دراسة اللغات الأجنبية ذاتها كلغات نظراً لاحتياج المجتمع لها فى منظومة التنمية. وتخلص الدراسات إلى دحض المقولة التى يروج لها باستمرار دون دراسات علمية كافية من أن مدارس اللغات والمدارس التجريبية يحصل طلبتها على نتائج أفضل فى مرحلة التعليم العام وتدحض أيضاً المقولة التى تشير إلى أن خريجى مدارس اللغات يتفوقون فى مرحلة الدراسة الجامعية على أقرانهم خريجى المدارس التى تدرس جميع العلوم باللغة العربية.

ولبيان تأثير لغة التعليم على منظومة التنمية تمت دراسة على مجموعتين من الطلبة أولهما طلبة السنة الإعدادية فى كلية الهندسة جامعة عين شمس للعام الجامعى ١٩٩٧ / ١٩٩٨م، وثانيهما الطلبة الحاصلين على الشهادة الإعدادية فى محافظة القاهرة لأكثر من عام دراسى. وتجدر الاشارة الى أن الدراسة قامت على تحليل النتائج النهائية المعلنة فى السنوات محل الدراسة ولم تتجه نحو أسلوب الاستبيان

٢٠ محمد يونس الحملاوى؛ نحو فلسفة هندسية لتطوير التعليم الهندسى؛المؤتمر الدولى الثالث للتعليم الهندسى؛ القاهرة؛ ١٤-١٨ نوفمبر ١٩٩٤م.

بل شملت جميع الطلبة الذين ينطبق عليهم المواصفات فى كلا المجموعتين. وسأشير إلى المدارس التى تدرس المواد العلمية كالعلوم والرياضيات باللغة العربية بمصطلح المدارس العربية سواء أكانت مدارس حكومية عربية أم مدارس خاصة وسأشير الى المدارس التى تدرس المواد العلمية باللغة الأجنبية بمصطلح مدارس اللغات سواء أكانت مدارس لغات خاصة أم مدارس حكومية تجريبية.

- **خريجو المدارس التجريبية ومدارس اللغات وخريجو مدارس التعليم العام العربية فى المرحلة الجامعية (دراسة على طلبة كلية الهندسة جامعة عين شمس):**

لقد شمل الجزء الخاص بطلبة السنة الإعدادية فى كلية الهندسة جامعة عين شمس جميع الطلبة المتميزين حتى لا يكون هناك مجرد شبهة تحيز فى مجموعة البحث. كما شملت الدراسة فقط الحاصلين على الثانوية العامة ومن ثم فان المحتوى العلمى لكلا المجموعتين واحد حتى نستطيع أن نحيد مختلف عناصر الدراسة عدا عنصر اللغة التى يتم التدريس بها. وتبقى بعض العناصر ذات العلاقة بمدرسة بعينها من ناحية عدد الطلبة فى الفصل الدراسى الواحد والمستوى الثقافى لأسر طلبة المجموعتين وهى عناصر ذات أهمية فى الدراسة وسيتم مناقشة تأثيرها على النتائج. ولقد قسمنا الطلبة المتميزين الى مجموعتين تبعا لنوعية المدرسة التى حصلوا منها على الثانوية العامة فكانت هناك مجموعة المدارس العربية ومجموعة مدارس اللغات. وركزت الدراسة على نتائج مجموعتى الطلبة فى مواد اللغة الإنجليزية، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء الهندسية؛ وهى مواد يتم تدريس بعضها باللغة العربية وبعضها باللغة الإنجليزية؛

إضافة الى المجموع الكلى فى الكلية، من خلال إيجاد علاقة بين تلك النتائج وبين نتائج المواد ذات الصلة بمواد الدراسة والتى سبق لهم دراستها فى المرحلة الثانوية وهى مواد اللغة العربية واللغة الإنجليزية والفيزياء والرياضيات والكيمياء[٢١].

ولقد أظهرت نتائج الدراسة أن متوسط المجموع الكلى فى شهادة الثانوية العامة لهؤلاء الطلبة الممتازين الذين التحقوا بكلية الهندسة جامعة عين شمس فى ذلك العام، لمجموعة المدارس العربية هو ٣٨٥,٨٣ درجة أما بالنسبة لمدارس اللغات فقد كان ٣٨٤,٥ درجة. وهذه النتيجة فى حد ذاتها هى عكس ما يردد باستمرار من أن المدارس العربية ذات مستوى تعليمى أدنى من مدارس اللغات، وهو أمر يروج له باستمرار حتى يدخل فى روع الجميع أنه كى يحصل الطالب على مجموع أعلى فى دراسته لابد وأن ينخرط فى سلك مدارس اللغات.

وفى مادة الفيزياء على وجه التحديد كان متوسط درجة طلبة المدارس العربية فى الثانوية العامة ٤٩,٣% فى حين كان المتوسط لطلبة مدارس اللغات ٤٨,٩٧% وغنى عن البيان أن مادة الفيزياء تحتاج الى فهم وتعبير، وأعتقد أنها دليل ومقياس جيد لمدى استيعاب الطالب. وهذه النتيجة تؤكد سابقتها والخاصة بالمجموع الكلى. وبدراسة نتيجة مادة الفيزياء فى السنة الإعدادية، اتضح حصول مجموعة المدارس العربية

٢١ مراد عبد القادر ومحمد يونس الحملاوى؛ أثر لغة التعليم فى المرحلة الثانوية فى استمرار التفوق فى المرحلة الجامعية: دراسة على طلبة كلية الهندسة جامعة عين شمس؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.

على ٣,٩٣ من ٤، بينما كانت النتيجة لمجموعة مدارس اللغات ٣,٥٨ من ٤. بملاحظة الفرق بين درجات مادة الفيزياء فى الثانوية والذى يشير الى تفوق مجموعة المدارس العربية عن مجموعة مدارس اللغات بنسبة ٠,٦٧% نجد أن الفرق قد تضاعف ليصبح بعد نهاية السنة الإعدادية ٩,٧٨% وهو ما يعنى معدل تقدم عالى لصالح خريجى المدارس العربية حيث استطاعوا أن يحصلوا فى دراستهم الجامعية قدرا أكبر من المعلومات.

ومن المفيد أن نشير إلى نتائج بعض المواد الأخرى لنتبين أن نتيجة مادة الفيزياء تتناغم مع نتائج بقية المواد، فنجد أنه فى مادتى الرياضيات ١، ٢ فلقد حصلت مجموعة المدارس العربية على ٣,٩٦٥ من ٤، بينما كانت النتيجة لمجموعة مدارس اللغات ٣,٧٤ من ٤. وبمقارنة ذلك بمتوسط درجة مادتى الرياضيات ١، ٢ فى الثانوية العامة والتى كانت ٤٩,٧٩٥ و ٤٩,٧٦٥ على التوالى يتضح التحسن الواضح فى أداء مجموعة المدارس العربية.

أما بالنسبة لمادة الكيمياء الهندسية فلقد حصلت مجموعة المدارس العربية على ٣,٨ من ٤، بينما كانت النتيجة لمجموعة مدارس اللغات ٣,٧١ من ٤. وبمقارنة ذلك بمتوسط درجة مادة الكيمياء فى الثانوية العامة والتى كانت ٤٩,٣٧ و٤٩ على التوالى يتضح كذلك التحسن النسبى فى أداء مجموعة المدارس العربية.

وبالنسبة لمتوسط المجموع العام فلقد سجلت مجموعة المدارس العربية مجموعاً كلياً فى السنة الإعدادية قدره ١٣٤٨,٢ فى مقابل ١٣١٨,٦ لمجموعة مدارس اللغات. وبمقارنة تلك النتائج مع مجموع الدرجات لكلا المجموعتين فى الثانوية العامة يتضح لنا بجلاء التحسن الواضح فى أداء مجموعة المدارس العربية سواء على مستوى المواد العلمية؛ بصرف النظر عن لغة تدريسها؛ أم على مستوى المجموع العام.

وتؤكد تلك النتائج دحض المقولة التى يروج لها باستمرار وهى أن مدارس اللغات تعطى نتيجة أفضل فى نتائجها فالعكس هو الصحيح سواء فى نتائج تلك المدارس أم فى تحصيل خريجى تلك المدارس فى المرحلة الجامعية، وهو أمر يضع علامات استفهام عديدة على جدوى إنشاء والتوسع فى مدارس اللغات الخاصة والمدارس التجريبية الحكومية وعلى الهدف الخفى من إنشائها أهو لبناء موظفين أم لبناء أبناء لهذا الوطن؟ وما هى جدوى الإنفاق على هذه النوعية من المدارس؟

والوجه المكمل للقضية هو مادة اللغة الأجنبية فى الثانوية العامة. فدرجات مادة اللغة الأجنبية فى الثانوية العامة كانت فى صالح طلبة مدارس اللغات بمتوسط مقداره ٤٧,٦٥ فى مقابل ٤٦,٨٧ لطلبة المدارس العربية. ودعونا ننظر لهذه الأرقام ونستنتج منها أن هؤلاء الطلبة الذين خرجوا من مدارس اللغات لو حذفنا من

مجموعهم مادة اللغة الأجنبية لوجدنا أن عددا منهم لم يكن ليدخل كلية الهندسة جامعة عين شمس ابتداءً. النقطة الأخرى أنه بالنسبة لهؤلاء الطلبة فلقد لعبت اللغة الأجنبية دورا آخر فى دخولهم كلية الهندسة حيث اختار ٤٨,٤% منهم مادة اللغة الأجنبية كمادة للمستوى الرفيع فى حين أن تلك النسبة كانت ٦,٧% بالنسبة للمدارس العربية. ومن ثم يمكننا القول أن نسبة لا يستهان بها من درجات طلاب مجموعة مدارس اللغات أتت من اللغة الأجنبية وليس من مجموعة المواد العلمية. ومن ثم فأننا إذا راعينا عامل اللغة الأجنبية المضاعف الذى أفاد مجموعة مدارس اللغات فسنجد أن العديد من هؤلاء الطلبة لن يدخلوا كليات القمة وخاصة كلية الهندسة. والنقطة الأخرى أن هذا التفوق النسبى الذى مرده مادة اللغة الأجنبية قد استمر فى الدراسة الجامعية حيث حصل طلبة المدارس العربية فى مادة اللغة الإنجليزية على ٢,٣ من ٤ فى حين حصل طلبة مدارس اللغات على ٢,٣٩ من ٤ مما يعنى أن جزءً من محتوى الدرجات لمجموعة طلبة مدارس اللغات ما زال يأتى من مكون للغة الأجنبية وليس من مكون المواد العلمية، وهو أمر يجعلنا نتساءل عن نسبة طلبة مدارس اللغات الذين لن يستطيعوا الحفاظ على مستوى تميزهم ان نحن أسقطنا مكون اللغة الأجنبية من مجموعهم الكلى؟

وحتى نلاشى عنصر تفوق مجموعة المدارس العربية على المجموعة الأخرى فى بداية الحياة الجامعية فلقد تم حساب نسبة عدد الطلبة الذين استمروا فى نفس مستواهم فى كلا المجموعتين. وتبين من الدراسة أنه فى مادة الفيزياء استمر ٩٣%

من طلبة المدارس العربية فى مستواهم فى مقابل ٦٤,٥% بالنسبة لمجموعة مدارس اللغات. وكانت نتيجة حساب متوسط درجتى مادتى الرياضيات فى الكلية وفى الثانوية العامة أن ٩٣% من طلبة المدارس العربية قد استمروا فى نفس مستوى تفوقهم فى مقابل ٧١% بالنسبة لمجموعة مدارس اللغات. كما كانت نتيجة حساب متوسط درجة مادة الكيمياء فى الكلية وفى الثانوية العامة أن ٨٠% من طلبة المدارس العربية قد استمروا فى نفس مستوى تفوقهم فى مقابل ٧٤% بالنسبة لمجموعة مدارس اللغات[٢٢].

ولنعد إلى نقطة مجموع الثانوية العامة لأشير إلى أن العاملين الذين أشرنا إليهما فى البداية وهما عدد الطلبة فى الفصل الدراسى الواحد والمستوى الثقافى لأسر طلبة المجموعتين وهما عنصرين سلبيان للأسف بالنسبة للمدارس العربية حيث يزيد متوسط عدد طلاب الفصل الواحد فيها عن مثيله فى مدارس اللغات والمتوقع أنه فى حالة تساوى الأعداد أن يزداد تفوق طلبة المدارس العربية. أما بالنسبة للمستوى الثقافى لأسر المجموعتين فلقد فاق متوسط المستوى الثقافى لمجموعة مدارس اللغات نظيره فى المدارس العربية وهو أمر يشير أيضاً الى أنه فى حالة تساوى المستويين سوف يزداد تفوق طلبة المدارس العربية.

---

٢٢ محمد يونس الحملاوى؛ اللغة كعنصر فاعل فى تعليم العلوم؛ مؤتمر استعمال الحاسوب فى تعليم الفيزياء؛ القاهرة؛ ٢٦-٢٨ فبراير ٢٠٠٠م.

- **خريجو المدارس التجريبية ومدارس اللغات وخريجو مدارس التعليم العام العربية فى المرحلة قبل الجامعية (دراسة على الطلبة الحاصلين على الشهادة الاعدادية العامة من منطقتين من مناطق محافظة القاهرة):**

بالنسبة للطلبة الحاصلين على الشهادة الإعدادية العامة تم أخذ مجموعتين تشملتا جميع طلبة جميع المدارس فى منطقتين من مناطق القاهرة التعليمية للعامين الدراسيين ١٩٩٧/١٩٩٨م و١٩٩٨/١٩٩٩م التى بها بعض الفصول نظام مدارس اللغات وبعض الفصول نظام المدارس العربية، وذلك حتى يتم تحييد جميع العوامل المؤثرة على الدراسة عدا عنصر لغة التدريس، وتبين أن بعض طلبة المدارس العربية قد حصلوا على الدرجات النهائية فى مواد الدراسات الاجتماعية والرياضيات والعلوم أما فى مدارس اللغات فلم يحصل أحد على الدرجة النهائية فى تلك المواد[٢٣].

وتشير الأرقام الى أن طلبة المدارس العربية الذين حققوا فى مادة العلوم مستوى ٩٥% و٩٠% و٨٥% كانت نسبتهم على التوالى ١٦,١% و٢٣,٧% و٣٩,٨% فى حين كانت النسب لمجموعة طلبة مدارس اللغات ٩,٢% و١٣,٨% و٢٠% على التوالى. والأرقام تشير بوضوح إلى تفوق طلبة مجموعة المدارس العربية. وبالنسبة للمجموع

---

٢٣ محمد يونس الحملاوى ؛ تأثير لغة التعليم فى تفوق الطلاب فى المرحلة الإعدادية؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.

الكلى شاملا جميع المواد لطلبة المدارس العربية فقد حصل ٢,٩% منهم على ٩٥% أو أعلى من المجموع الكلى، وحصل ١٣% منهم على ٩٠% أو أعلى من المجموع الكلى، وحصل ٢٤,٤% منهم على ٨٥% أو أعلى من المجموع الكلى. ولقد حصل طلبة مدارس اللغات فى المقابل على ٣,١%، ١٠,٨%، ٢٤,٦% لنفس المجموعات. ويتبين هنا أن التفوق ليس مرادفاً لمدارس اللغات كما هو الانطباع الذى يراد ترسيخه فى أذهاننا حيث يتم إشاعة هذه المقولة الخاطئة والتركيز عليها دونما سند.

أما حينما نتفحص درجات مادة اللغة الإنجليزية فسنجد أن طلبة مدارس اللغات قد حققوا تفوقاً نسبياً فى هذه المادة فقط، بخلاف بقية المواد الأخرى، وبالتالى يمكننا القول أنه بالنسبة للمجموع الكلى المتماثل لكلا المجموعتين فإن المجموع الذى حصل عليه طلبة مجموعة مدارس اللغات فى الشهادة الإعدادية ليس معبراً عن المستوى العلمى للطالب مثل زميله المتخرج من المدارس العربية. فجزء ليس باليسير من مجموع درجات طالب مدارس اللغات يأتى من لغة أجنبية وليس من اللغة العربية أو من المواد العلمية.

وحتى يمكننا تقييم مدى استيعاب الطلبة لأساسيات المواد العلمية فلقد قمنا بطرح درجة اللغة الأجنبية من المجموع الكلى ثم قارنا نتائج الطلبة بعد ذلك فوجدنا أن نسبة الطلبة الحاصلين على ٩٥% فأكثر فى المدارس العربية لم تتغير حيث لم يخرج

أحد من هذه الفئة إلى الفئة الأخرى، فى حين خرج جميع طلبة مدارس اللغات من هذه الفئة وأصبحت النتيجة بالنسبة لمدارس اللغات صفراً بعد أن كانت ٣,١%. أما بالنسبة لفئة الحاصلين على ٩٠% فما أكثر فى المدارس العربية فلم تتغير نسبتهم تقريباً حيث خرج بعض الطلبة من هذه الفئة ودخلها آخرون لتصبح النسبة ١٢,٥% بدلاً من ١٣%، أما بالنسبة لمدارس اللغات فلقد تغيرت النسبة إلى ٩,٣% بعد أن كانت ١٠,٨%. أما بالنسبة لطلبة المدارس العربية الحاصلين على ٨٥% فما أكثر فلم يخرج أحد منهم خارج هذه الفئة لتستمر نسبتهم ٢٤,٤%، فى حين هبطت نسبة طلبة مدارس اللغات من ٢٤,٦% إلى ١٠,٨%.

وتشير الأرقام كذلك إلى أنه نتيجة طرح درجة مادة اللغة الأجنبية من المجموع الكلى وإعادة حساب نسب التفوق فلقد وجدنا أن ٥٠% من طلبة مدارس اللغات تغيرت حالتهم بالسالب وخرج منهم ٣٠% خارج فئة الحاصلين على ٨٥% فما أكثر حيث لم يحققوا الحد الأدنى للفئة وهو ٨٥% بينما لم يخرج أى طالب من طلبة المدارس العربية خارج هذه الفئة. أما بالنسبة للتغيرات الداخلية التى حدثت فى مجموعة الطلبة الحاصلين على ٨٥% فما لأكثر والتى تعنى تغير حالة بعض الطلبة بين الفئات الثلاث ٩٥% فما أكثر، ٩٠% فما أكثر، ٨٥% فما أكثر، فكانت بالنسبة للمدارس العربية بالسالب بنسبة ٧,٦% ولكن صاحب ذلك تغيير داخلى بالموجب بنسبة ٥,٢% لتكون نسبة التغير السالب الداخلى الكلى لمجموعة المدارس العربية ٢,٤% فى مقابل ٥٠% فى حالة مدارس اللغات وذلك حال استبعاد درجة اللغة

الأجنبية من المجموع الكلى بالنسبة لمجموعات التفوق الثلاث. وهذه النتيجة تعنى أن عدداً كبيراً من الحاصلين على شهادة الإعدادية العامة من مدارس اللغات ما كان لهم أن يكونوا من المتفوقين وما كان لبعضهم أن ينخرط فى التعليم العام بل كان تحويلهم الى التعليم الفنى هو المسار الطبيعى نتيجة عدم حصولهم على الحد الأدنى للقبول فى التعليم الثانوى العام فى ذات عامى الدراسة؟!

- **التعلم باللغات الأجنبية وتعلم اللغات الأجنبية:**

ليست الدعوة إلى تعريب العلوم بدعوة إلى نبذ تدريس اللغات الأجنبية؛ بل على العكس؛ فتدريس اللغات الأجنبية كلغة أجنبية فى معاهد العلم المختلفة مطلب أساسى للانفتاح على المستحدث من المعارف الوافدة من مختلف الثقافات والأمم. كما أن منظومة الترجمة تعنى بالضرورة التعامل مع اللغات الأجنبية بشرط أن يتم ذلك بطريقة جادة. إن التدريس بلغة أجنبية قضية تختلف أيما اختلاف عن تعليم اللغات كلغات أجنبية؛ بل أكرر أننى أرى أن يدرس الطالب أكثر من لغة أجنبية فى مراحل دراسته المختلفة بطريقة جدية فاكتساب اللغة انفتاح على ثقافة أهل تلك اللغة. وما أحوجنا للانفتاح الجاد على مختلف الثقافات. كما أن تدريس اللغات يعطى ركيزة احتياطية لأى قصور قد ينشأ فى منظومة الترجمة التى لابد لنا من أن ننشؤها. لقد أصبح تعريب التعليم بل وتعريب المجتمع؛ قبل أن يكون واجباً قومياً؛ ضرورة تربوية يفرضها تصحيح الممارسات الفوضوية فى العملية التعليمية وفى العديد من أوجه التعاملات فى المجتمع التى دفعت اللغة العربية إلى أن تنزوى فى عقر دارها!

وحتى لا يتوهم ما ليس فى الدراسة لابد من إيضاح أن التعليم باللغات؛ كما هى الحال فى مدارس اللغات؛ أمر سلبى فى حين أن تعليم اللغات أمر إيجابى. فلا يمكن لشعب يبغى التقدم ألا أن يمر من بوابة الترجمة. لقد أضحى معرفة اللغات الأجنبية سواء الإنجليزية أم الفرنسية أم اليابانية أم غيرها من اللغات، واجبًا ولم يعد خيارًا حتى يكون مطروحًا للنقاش، وأعتقد أنه بدون تجويد اللغة العربية وتجوى اللغات الأجنبية ستنضب روافد العلم وسنزداد تخلفاً عن ركب الحضارة. وفى نفس الوقت من المفيد التأكيد على أنه لم يصل أى شعب إلى مرحلة الإبداع بغير لغته سواء قديماً أم حديثاً، فلقد أبدع العرب قديماً بلغتهم، وكذلك الحال مع مختلف الشعوب حيث لم يكن لها أى إبداع بغير لغاتها القومية.

٨.اللغة والثقافة:

تتعدى مشكلة الكتابة العربية مرحلة إصدار التوصيات والتوجيهات حيث أنها بالأساس قضية علمية. وتمثل قضية الرقم العلمى أحد تلك القضايا الثقافية، فالثقافة فى أى مجتمع أحد الروافد الأساسية فى تشكيل الفكر ودفع المجتمع إلى الأمام. وتكفى نظرة واحدة إلى الصحف التى لا تتناسب فيها عدد ومحتوى صفحات الفكر والمعلومات العلمية مع صفحات الرياضة مثلاً! وحتى فى مجال الفكر فكم نسبة الثقافة العلمية التى تحفل بها صحفنا ونحن أحوج ما نكون إلى كل حرف يُكتب لننهض بشعبنا إلى رحابة المعرفة العلمية؟ لقد حذت وسائل الإعلام الأخرى حذو الصحافة فى تلك النسب رغم تأثيرها الطاغى على فكر المجتمع. وبعيداً عن العبارات المنمقة تصدمنا حقيقة أن إجمالى الكتب التى تصدر فى العام فى الوطن العربى

(٢٥٢ مليون نسمة) تقل عما تصدره المجر (١٠ مليون نسمة) بلغتها فى العام وأقل من نصف الكتب التى تصدرها السويد (٩ مليون نسمة) بلغتها فى العام الواحد!

إن معالجة العديد من القضايا بات نهباً للضحالة العلمية دون تمحيص ولنأخذ كمثال لهذا قضية الأرقام العربية. لقد برزت قضية الأرقام العربية فى منذ حوالى أربعين سنة بناء على دعوة انطلقت من إحدى دول شمال أفريقيا أرادت أن يكون لها السبق فى أن تدعو العرب إلى التوحد على أى شىء وبحسن نية حتى ولو كان ذلك مقولة أوربية، ولهذا تشايع لها البعض! ودارت الأيام دورتها لنجد القوانين فى تلك البقعة تتراجع عن الصدور بالعربية لتصدر بالفرنسية ثم تترجم إلى العربية، ولا أدرى أهى خطوة مرحلية لنئد العربية فى خطوة تالية أم ماذا؟ ما يهمنا فى هذا السياق أن تلك الدعوة غاب عنها التمحيص العلمى. ولم يحفل العديدون بدراستها إلى أن استشرى خطرها وبتنا تحت دعاوى عديدة منها العالمية وغيرها نجد حرفنا العربى يتراجع فى مقابل الحرف اللاتينى. لقضية الأرقام عناصر عدة، منها التاريخ وإثباتاته ومنها علاقة الرقم باللغة ذاتها وانتماء الرقم للغة العربية واللغات الأخرى ومنها تجانس مجموعة الأرقام داخل نفسها ومنها كفاءة الرقم[٢٤]. وهذه تصب جميعها فى أحقية الرقم العربى الأصيل (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) فى الاستعمال ليس فقط على صعيد الوطن العربى بل وعلى صعيد اللغة العربية ذاتها[٢٥].

---

٢٤ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ الأرقام الهندعربية، دراسة مقارنة: التاريخ، السمات، الاستخدام، التقنية؛ المؤتمر الدولى السادس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٣-٥ سبتمبر ١٩٩٦م.

٢٥ توصيات ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.

٩.الرقم العربى ومنهجية التفكير:

تثار قضية الرقم العربى بين الحين والآخر فى بحوث ومقلات متعددة تؤيد الرقم العربى الأصيل تارة وتميل إلى الرقم الغربى (الغبارى) تارة أخرى. والحق أن الأصوات التى تتعالى بين الحين والآخر لتتشايع للرقم الغبارى تتيح لنا الفرصة تلو الأخرى لتبيان وجه الحق فى أحقية رقمنا العربى الذى نستعمله فى مصر منذ نعومة أظافرنا على مختلف الأصعدة. ومن الطريف أن نذكر أن من يتشايع ضد رقمنا العربى الأصيل ينقسم إلى مجموعتين أولاهما وهى الأكبر تضم من ينساق بحسن نية لما يروج له البعض من أن الرقم الغبارى عربى والآخر هندى، فيتشايع للعربى مهما كان وهو لا يدرى أن هذه المقولة فرية لا سند لها من العلم. وهذه المجموعة تعود أدراجها إلى الحق حين تعرف وجه الحقيقة. وثانية المجموعتين تضم قلة قليلة لحسن الحظ؛ رغم علو صوتها؛ تتعصب للوافد؛ أياً كان؛ متخيلة أنه طالما أتى مرتدياً القبعة فهو صحيح؛ منقادة وراء كل ما يقوله الأوربيون من أن الشكل الغبارى عربى متجاهلين سبب تلك التسمية حيث عرف الأوربيون هذا الشكل الغبارى من عرب الأندلس. وتضم هذه الفئة على قلتها البعض الذى أدرك أن ضرب الحرف العربى يمكن أن يأتى حال القضاء على الرقم! وليس هذا بمستغرب حيث يقول التاريخ أن من لفظ الحرف العربى خلال القرن الميلادى المنصرم بدأ بالرقم مع الرمز العلمى قبل أن يقضى على الحرف فى ضربة تالية.

- **أبعاد قضية الأرقام العربية:**

تتشكل أبعاد قضية الأرقام العربية من عدة جوانب علمية تحوى التاريخ وإثباتاته وعلاقة الرقم باللغة وانتماء الرقم إلى اللغة العربية واللغات الأخرى وتجانس مجموعة الأرقام داخل نفسها بالإضافة إلى كفاءة الرقم. لقد أوصى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى مايو عام ١٩٨٦م، بالاستمرار فى استعمال أرقامنا العربية المشرقية (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) كما أقر اتحاد المجامع العربية عام ١٩٨٧م عروبة أرقامنا الأصيلة بل ودعا دول المغرب العربى إلى العودة لاستعمالها وترك الأرقام الغربية المستعملة فى أوروبا. يمثل قدم أشكال الأرقام العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) واستمرارها بدون انقطاع نقطة إيجابية جديرة بالتمحيص، فلقد كان أول ظهور للأرقام فى التراث العربى الإسلامى على يد محمد بن موسى الخوارزمى فى مخطوطته الجبر والمقابلة والتى يرجع تاريخها إلى عام ٢٠٤ هجرية /٨٢٠ ميلادية مستعملاً الأرقام المشرقية العربية الأصيلة.

إن تمسك المشرق بالأرقام العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) فيه حفاظ على اللغة العربية ذاتها التى تتشكل مفرداتها من الحروف بجانب هذه الصورة من الأرقام، وحفاظ على تواصل التراث العربى القديم بزمننا الحاضر، ومحافظة على هويتنا. فالأرقام العربية الأصيلة أكثر ملاءمة للحروف العربية وانتماء إليها والتصاقاً بها على مر العصور، علاوة على أنها أكثر كفاءة من الأرقام الغبارية، ومن ثَمَّ يكون من المنطقى أن يتوحد العرب جميعهم على الأرقام العربية الأصيلة فالتمسك بها تمسك بالعربية. أما الأرقام الغبارية المستعملة حالياً فى أوروبا والتى طوعت لتلائم الحرف اللاتينى فدرس التاريخ يقول أن قبولها عند مَن نبذ الحرف

العربى كان تمهيداً لتغيير الحروف العربية ذاتها التى فقدت خلال المائة عام المنصرمة ٧٠% من مساحة استعمالها!

لقد برزت مشكلة الأرقام العربية منذ حوالى أربعين سنة بناء على دعوة انطلقت من إحدى دول شمال أفريقيا أرادت أن يكون لها السبق فى أن تدعو العرب إلى التوحد على أى شىء وبحسن نية حتى ولو كان ذلك مقولة أوربية، ولهذا تشايع لها البعض! ودارت الأيام دورتها لنجد القوانين فى تلك البقعة تتراجع عن الصدور بالعربية لتصدر بالفرنسية ثم تترجم إلى العربية، ولا أدرى أهى خطوة مرحلية لنئد العربية فى خطوة تالية أم ماذا؟ ما يهمنا فى هذا السياق أن تلك الدعوة غاب عنها التمحيص العلمى. ولم يحفل العديدون بدراستها إلى أن استشرى خطرها وبتنا تحت دعاوى عديدة منها العالمية وغيرها نجد حرفنا العربى يتراجع فى مقابل الحرف اللاتينى. وهنا فقط هب من يدافع عن مكونات اللغة عامة الاستعمال التى هى حرف ورقم، آملين أن يتمكنوا من تنقية اللغة مما شابها من رطانة وكلمات عرجاء ورموز جوفاء أضرت المتعلم والمعلم معاً. ولقضية الأرقام عناصر عدة، منها التاريخ وإثباتاته ومنها علاقة الرقم باللغة ذاتها وانتماء الرقم للغة العربية واللغات الأخرى ومنها تجانس مجموعة الأرقام داخل نفسها ومنها كفاءة الرقم[٢٦]. توضح الدراسة أهم ملامح هذه النقاط التى تصب

---

٢٦ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ الأرقام الهندعربية، دراسة مقارنة: التاريخ، السمات، الاستخدام، التقنية؛ المؤتمر الدولى السادس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٣-٥ سبتمبر ١٩٩٦م.

جميعها فى أحقية الرقم العربى الأصيل (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) فى الاستعمال ليس فقط على صعيد الوطن العربى بل وعلى صعيد اللغة العربية ذاتها[٢٧].

- **التاريخ:**

يمثل قدم أشكال الأرقام العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) واستمرارها بدون انقطاع نقطة إيجابية جديرة بالتمحيص، فلقد كان أول ظهور للأرقام فى التراث العربى الإسلامى على يد محمد بن موسى الخوارزمى فى مخطوطته الجبر والمقابلة[٢٨] والتى يرجع تاريخها إلى عام ٢٠٤ هجرية /٨٢٠ ميلادية مستعملاً الأرقام المشرقية العربية الأصيلة[٢٩]، والتى استمر استعمالها فى المخطوطات العربية بعد ذلك[٣٠]. وعلى الجانب الآخر نجد أن أقدم المخطوطات التى تستخدم الأرقام الغربية والمسماة بالغبارية على قلتها يرجع إلى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) حيث ورد ذكرها أول مرة فى الأدبيات العربية فى مخطوطات ابن الياسمين المتوفى عام ٦٠١ هجرية[٣١]، أى بعد اختراع الأرقام العربية الأصيلة بأكثر من ثلاثة قرون، الأمر الذى واكب بداية فترة أفول الحضارة العربية[٣٢]. وجدير بالذكر أن استعمال الأرقام المشرقية الأصيلة[٣٣] قد استمر بصورة منتظمة متصلة مستقرة منذ تاريخ اختراعها وحتى يومنا

---

٢٧ توصيات ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.

٢٨ محمد بن موسى الخوارزمى؛ الجبر والمقابلة؛ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر؛ القاهرة؛ ١٩٦٨م.

٢٩ لجنة الرياضة؛ مجمع اللغة العربية؛ الدورة الحادية والأربعون؛ القاهرة؛ ١٩٧٤-١٩٧٥م.

٣٠ بردية براءة ذمة مالية؛ مجموعة الأرشيدوق راينر؛ فينا؛ النمسا؛ ٢٦٠ هجرية.

٣١ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ حول استعمال الأرقام العربية (الغبارية) الأسس وطريقة التنفيذ العملى؛ مجلة شئون عربية؛ أكتوبر ١٩٨٣م.

٣٢ موريس شربل؛ الرياضيات فى الحضارة الإسلامية؛ جروس برس؛ بيروت؛ ١٩٨٨م.

٣٣ هزاع بن عيد الشمرى؛ الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربى، دار أجا؛ الرياض؛ ١٤٢٠هـ.

هذا لمدة تزيد على ١٢٠٠ سنة. ولهذا نجد أن أكثر تراث أمتنا كُتِب بالأرقام العربية الأصيلة[٣٤] حيث كانت إضافات أكثر من ٩٢% من العلماء العرب بهذه الأرقام[٣٥].

- **تجانس الأرقام العربية والغبارية مع حروف اللغة العربية وحروف لغات أخرى:**

لقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن أرقامنا العربية الأصيلة جزء من نسيج لغتنا العربية فهى متجانسة فى ذاتها ومتجانسة كذلك مع حروف لغتنا بصورة كاملة وتامة أما الأرقام الغبارية فغير متجانسة فى ذاتها وغير متجانسة مع حروف اللغة العربية بل هى أكثر تجانساً مع الحروف الهندية واللاتينية[٣٦]. وهذا يعنى أن الأرقام العربية المشرقية وليدة حضارة واحدة هى الحضارة العربية بينما الأرقام الغبارية والتى تطورت على ثلاث مراحل منذ نشأتها حتى وصلت إلى صورتها الحالية وليدة أكثر من حضارة منها الحضارة العربية[٣٧]. وبالإضافة إلى ذلك تم قياس درجة انتماء الأرقام العربية الأصيلة والأرقام الغبارية إلى الحروف العربية وإلى حروف لغات أخرى منها الهندية (السنسكريتية) واللاتينية والتى أثبتت أن الأرقام العربية الأصيلة تنتمى بالكامل وفقط إلى الحروف العربية بأشكالها المختلفة من نسخ وكوفى وأندلسى، فى

---

٣٤ قاسم على سعد؛ الأرقام العربية: تاريخها وأصالتها وما استعمله المحدثون وغيرهم منها؛ مجلة الأحمدية؛ العدد ٢، ٣؛ دبى؛ جمادى الأولى ١٤١٩هـ ، محرم ١٤٢٠هـ.

٣٥ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ استعمال الأرقام العربية المشرقية فى تراثنا العلمى؛ المؤتمر السنوى الرابع لجمعية لسان العرب؛ القاهرة؛ ١٥-١٦ نوفمبر ١٩٩٧م.

٣٦ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تجانس شكلَى منظومة الأرقام العربية مع أشكال الحروف العربية وأشكال حروف لغات أخرى؛ المؤتمر الثانى لهندسة اللغة؛ القاهرة؛ ١٨ أبريل ١٩٩٩م.

٣٧ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تجانس الأرقام الهندعربية مع أشكال حروف الخط العربى؛ المؤتمر الدولى السابع عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٢-٤ سبتمبر ١٩٩٧م.

حين أن الأرقام الغبارية لا تنتمى إلى الحروف العربية بمفردها بل تنتمى فى ذات الوقت إلى الحروف اللاتينية وإلى الحروف الهندية[٣٨]. وهذه النتيجة يمكن أن تفسر تاريخ ظهور الأرقام الغبارية فى نهايات الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس وبدايات عصر النهضة فى أوروبا وهذا الأمر يتوافق أيضاً مع أن أول ظهور لتلك الأرقام الغبارية كان فى الأندلس والتى كانت مناط الاحتكاك الدائم بين العرب والأوربيين.

- **ثبات شكل الرقم العربى وعدم ثبات شكل الرقم الغبارى:**

لقد أثبتت البحوث العلمية على كلا المنظومتين أن منظومة الأرقام العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) أقدم وأكثر ارتباطاً باللغة العربية والتصاقاً بها فلقد حافظت على شكلها منذ اختراعها حتى اليوم لمدة تزيد عن اثنى عشر قرناً، بينما مرت منظومة الأرقام الغبارية المستعملة فى أوروبا (9876543210.0) بعدة مراحل للتغيير منذ بداية وجودها فى القرن السادس الهجرى وحتى اليوم وهو أمر يؤكد ما تم تدعيمه من خلال البحوث العلمية الهندسية بأن الأرقام الغبارية نشأت فى الأندلس لتتواءم مع الحرف اللاتينى.

- **إتجاه كتابة الرقم:**

مما يدعم ارتباط الأرقام العربية الأصيلة باللغة العربية اتجاه كتابة الأرقام ذاتها، ففى حالة الأرقام العربية الأصيلة لا يشذ عن اتجاه الكتابة العربية فيها إلا رقم ستة بينما نجد فى الأرقام

---

٣٨ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تجانس الأرقام الهندعربية مع أشكال الحروف العربية وأشكال حروف لغات أخرى؛ ندوة الأرقام ومكانتها فى قضية التعريب؛ مجمع اللغة العربية؛ القاهرة؛ ٢٠ فبراير ١٩٩٧م.

الغبارية فإن الواحد والاثنين والثلاثة والسبعة تكتب من الشمال[٣٩]. والمنطق يستتبع أن المجموعة التى يزداد فيها ما يُكتب من الشمال إلى اليمين (وهى المجموعة الغبارية) تنتمى إلى اللغة التى تكتب من الشمال إلى اليمين وهى اللاتينية وفى نفس الوقت فإنه من المنطقى أن تكون المجموعة الأخرى وهى العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) والتى لا يُكتب فيها إلا رقم واحد هو الستة من الشمال إلى اليمين تنتمى إلى اللغة التى تُكتب من اليمين إلى الشمال[٤٠].

- **كفاءة الرقم:**

لقد تم حساب كفاءة منظومة أرقامنا العربية الأصيلة ومنظومة الأرقام الغبارية فتبين وفقا للبحوث المنشورة فى المؤتمرات المتخصصة أن أرقامنا المستعملة فى مصر بوضعها الحالى والتى لا يحتل فيها الصفر مكانه الصحيح ولا يُكتب فيها الرقمين اثنين وثلاثة بالصورة الصحيحة أكفأ من الأرقام الغبارية حيث أن درجة تشابه الأرقام الغبارية أعلى بالنسبة لبعضها البعض. ونشير إلى الثابت من البحوث العلمية والتى توضح أن التشابهات بين عناصر منظومة الأرقام الغبارية أكبر منه بين عناصر منظومة الأرقام العربية الأصيلة[٤١]. وعلى الرغم

---

٣٩ محمد يونس الحملاوى؛ أرقامنا العربية: التاريخ والاستعمال والانتماء والكفاءة؛ ندوة أرقامنا العربية: حقائق وأوهام؛ القاهرة؛ ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٠م.

٤٠ محمود فهمى حجازى ومحمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ أرقامنا العربية: الأرقام المشرقية والأرقام المغربية؛ المؤتمر السنوى الثانى لتعريب العلوم؛ القاهرة ٢٠-٢١ مارس ١٩٩٦م.

٤١ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ قياس مدى التوافق الشكلى لفئتى الأرقام الهندعربية مع منظومة الكتابة العربية؛ المؤتمر الدولى السادس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٣-٥ سبتمبر ١٩٩٦م.

من أننا لسنا بصدد اختراع منظومة حديثة للأعداد إلا أننا نود أن نلفت النظر إلى التشابهات الحادة بين الأرقام التالية كذلك فى المنظومة الغبارية:(6, 5) (8, 6) (9, 8). ولا مجال لتكرار ما يثار حول الرقم سبعة فى المنظومة الغبارية (7) والذى يختلط فى كثير من الكتابات اليدوية مع الرقم (1). وهذا كله يشير إلى أن الأرقام العربية الأصيلة أكفأ من الأرقام الغبارية وهو أمر سبق لبعض البحوث أن أثبتته بصورة هندسية[٤٢]. ومن ثم فإنه من الناحية النفعية المحضة لا يجب علينا أن نتخلى عن الأكفأ إن نحن تناسينا أصالة أرقامنا الأصيلة وعرويتها! علماً بأن هذه الكفاءة تتحسن بلا شك فى حالة مراعاة قواعد الكتابة الصحيحة للأرقام. فهل لنا أن نترك الأكفأ ونتحول عنه إلى الأدنى بلا سبب؟!

- **شبهات متوهمة:**

بالنسبة للشبهات المتوهمة التى تثار حول الأرقام العربية الأصيلة والأرقام الغبارية يمكن تلخيصها فى محاولة ربط الأرقام الغبارية باللغة العربية بليها كى تبدو وكأنها تعتمد على الزوايا فى رسمها وكذلك وضع الصفر فى الأرقام العربية الأصيلة والتشابه بين الكتابات الخاطئة للاثنين وللثلاثة، مما يجعل المنظومة كلها أدنى كفاءة. ويمكن أن نفند ما ساقه البعض من أن الأرقام الغبارية مبنية على الزوايا ونبين ضعف تلك المقولة فى أن هذا الإدعاء مبنى على لَىّ شكل الرقم الغبارى ليتم تطويعه لإثبات تلك المقولة. كما أن القضية المنطقية فى موضوع الزوايا هى أنه لا توجد علاقة البتة بين ثبوت أو عدم ثبوت صحة افتراض مقولة الزوايا وبين صحة نسب تلك المجموعة الغبارية للأرقام إلى العرب واللغة

٤٢ محمد يسرى النحاس ومحمد يونس الحملاوى؛ قياس درجة التشابه فى مجموعتى الأرقام الهندعربية؛ المؤتمر الدولى الخامس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ١٢-١٤ سبتمبر ١٩٩٥م.

العربية حيث لا توجد علاقة منطقية بين الزوايا والعرب واللغة العربية[٤٣]. لقد صدقنا فرية الزوايا التى اخترعها المستشرق الفرنسى كرى دى فو محاولاً سلب العرب فضل اختراع الأرقام وجعله من نصيب الإغريق بحجة تفوقهم فى الهندسة .

وتبين نتائج البحوث حول الصفر كيف أن النقطة موجودة فى الأرقام العربية الأصيلة كصفر وفى الأرقام الغبارية كعلامة عشرية. كما تشير نتائج الدراسات إلى أن الصفر فى منظومة الأرقام العربية الأصيلة حينما يُكتب بالمواصفات الصحيحة فى منتصف ارتفاع الرقم يتمتع بأعلى درجة تمييز بعكس العلامة العشرية فى منظومة الأرقام الغبارية فدرجة تمييزها فى أدنى درجاتها وبالتالى فقضية الصفر فى صالح الأرقام العربية الأصيلة ويلزم اتباع أسس الكتابة السليمة كما نجدها فى كتب الخط منذ مئات السنين[٤٤].

ومن الطريف أن البعض يشير إلى وجود علاقة بين شكل الرقم وقيمته ولهذا تجدر الإشارة إلى أن جميع الأرقام العشرة لا تستمد قيمتها من حجم شكلها. وفى المنظومة العشرية، لجميع الأرقام من الصفر وحتى التسعة نفس الأهمية حيث تختل منظومة الأرقام حال تفريقنا رياضياً بين عناصرها العشرة سواء بالنسبة لمنظومة الأرقام العربية الأصيلة أم بالنسبة للمنظومة

---

٤٣ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تفنيد الادعاءات فى قضية الرقم العربى المشرقى والمغربى؛ ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.

٤٤ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ قياسات على الصفر فى منظومة الأرقام المشرقية وعلى العلامة العشرية فى منظومة الأرقام المغربية؛ المؤتمر الدولى الثامن عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ١٥-١٧ سبتمبر ١٩٩٨م.

الغبارية. فالوزن النسبى لجميع الأرقام متماثل إلا أن قيمها تختلف حسب الخانة التى توضع فيها. كما نشير إلى أن كثافة الأرقام النسبية أمر وارد فى مختلف أساليب الكتابة بل أنه مرغوب أحياناً. فالواحد ذو كثافة أقل من السبعة فى المنظومة العربية الأصيلة (٧١) كما فى المنظومة الغبارية المستعملة فى أوروبا (71). ومن الطريف أن البعض يتناسى قواعد الكتابة فيتوهم وجود علاقة بين ضغط سن القلم وكتابة أى حرف أو رقم ولهذا نشير إلى التوصيف الصحيح لكتابة مختلف الأرقام ومنها الصفر وحينئذ لن نجد علاقة بين ضغط سن القلم وكتابة أى رقم حيث من المفروض إظهار كافة الحروف والأرقام سواء العربية الأصيلة أم الغبارية بصورة سليمة بدون أن يكون ضغط القلم على الورق أو نوع المداد أو نوع الورق عاملاً مؤثراً فى ذلك. أما إذا وجد تأثير لذلك فمرده عدم مراعاة الأسلوب الصحيح فى الكتابة. ونشير إلى أنه فى حالة الأرقام فإن التسلسل الطبيعى لكتابتها يفرض وجود خانة متماثلة لكل رقم كبرت قيمته أم صغرت. وحيث إن مختلف الأرقام ذات كثافة مختلفة فى الرسم، فالأمر الطبيعى أن يستمر هذا الاختلاف فى تكبير وتصغير الأرقام جميعها. فعلى سبيل المثال فإنه فى منظومة الأرقام الغبارية نجد أن (0, 1) يختلفان كثيراً فى عرض كل منهما وبالتالى فإنه فى حالة تكبيرهما سوف يستمر ذلك الاختلاف الأفقى رغم أن ارتفاع الرقمين واحد فى الحالتين.

أما بالنسبة إلى التشابه الحادث بين الاثنين والثلاثة فتشير نتائج الدراسات على الأشكال المختلفة لكتابة الإثنين والثلاثة إلى أن القواعد التى استقرت فى كتب الخط العربى تستجلى الأمر حيث توضح طريقة كتابة الثلاثة بحيث تبدو الثلاث سنون واضحة بعمق كافٍ،

بالإضافة إلى أنه فى الخط الأندلسى فإن الاثنين تكتب بدون سنون وهو أمر جدير بالاتباع. ونشير إلى أن اختيار نوع الخط الذى نستعمله سواء آلياً أم يدوياً يساعد على التفرقة بين الشكلين بجانب مراعاة قواعد الخط. ولقد تم معالجة هذا الأمر فى بحوث أوصت باستعمال الصيغة ٢ للاثنين منعاً للخلط وهذه الصورة كما يتبين من هذه الوثيقة مطبوعة آلياً. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن القليل من الأفراد هم الذين يستعملون فى كتابتهم العادية الثلاثة بسنتين، وبالتالى فإنه لا يوجد اختلاف فى الأغلب بين كتابة الثلاثة (٣) آليا ويدوياً. وعلى الرغم من هذا فإن الثلاثة فى الأغلب لا تكتب طبقاً لقواعد الخط حيث لا يتم مراعاة ارتفاع السنون الثلاثة. ولهذا فإنه من المطلوب مراعاة طريقة الكتابة الصحيحة لكتابة مختلف الأرقام والحروف.

ويلزم التنويه إلى أن هذا الاختلاف موجود فى المنظومة الغبارية لنفس الرقم اثنين ولغيره (2,2, 2, 2, 2) فالاختلاف فى نمط الكتابة وارد فى الأرقام كما هو وارد فى الحروف. كما نشير إلى أن الواحد فى منظومة الأرقام الغربية تتعدد طرق كتابته بزاوية وبدونها، وبقاعدة وبدونها (1, 1, 1، 1, 1, 1 ,1) وتختلف طرائق كتابته آلياً من خط لآخر، وتختلف عن الخطوط اليدوية كذلك، فهل يعصف هذا بشكل الواحد الغبارى؟

ومن الملاحظ أن جميع الدول العربية التى تستعمل الأرقام الغبارية الآن ما كانت تستعملها إبان فترة الاحتلال الأجنبى لأراضيها[٤٥] وقت أن كان الحفاظ على الهوية يمثل جزءاً من الكيان

٤٥ البنك المركزى التونسى؛ النقود التونسية عبر التاريخ؛ تونس؛ بدون تاريخ.

الوطنى؟ ويكفى أن نشير إلى أن كافة وثائق استقلال تلك الدول قد كُتِبَت بالأرقام العربية الأصيلة. لقد حافظت تلك الدول على صورتنا الأصيلة من الأرقام[٤٦] وقت أن كانت الهوية جزءً من الكفاح والنضال ضد الاستعمار[٤٧]. ولا توجد أسانيد علمية لتحول تلك الدول إلى الأرقام الغبارية وهجر أرقامنا العربية الأصيلة سوى أن الأوربيين يطلقون عليها لفظ عربية إن كان هذا سند علمى. ومما هو جدير بالذكر أن الوثائق المتعلقة بقرارات استخدام الأرقام الغربية محل الأرقام العربية الأصيلة التى تواكبت مع نقل بعض الإدارات السياسية إلى المغرب العربى، جاءت مبتورة ومنافية للحقيقة فمنها ما يشير إلى دواعى الوحدة الثقافية العالمية ومنها ما يشير إلى مشاكل متوهمة للصفر.

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن الكثيرين قد تلقفوا هذه الدعوة بحسن نية، وتلك الدعوة استندت على فهم لمقولة الدارسين الأوربيين عن الأرقام غاب عنها أن تلك المقولة تشير إلى نظام الرقم العربى وهو نظام عشرى يتميز باكتساب الشكل الواحد للرقم المفرد من صفر وحتى تسعة قيمتين إحداهما من رسمه والأخرى من موضعه[٤٨]. ومن ثم أفضى هذا النظام إلى الاقتصار على عشرة أشكال فقط تتكون منها جميع الأعداد مهما كبرت أو صغرت، وبالتالى فلا احتياج لأن نضع رمزاً للعشرة وللمائة ولغيرها. ومن ثَمَّ نفضت جميع الحضارات الأخرى تراقيمها لعقمها لصالح النظام العربى القائم على العشرة كأساس للعد يحمل فى طياته سمة

---

٤٦ مجلة البصائر؛ الجزائر؛ ١ جانفى ١٩٣٧م.

٤٧ مجلة المغرب؛ السنة الثانية، العدد ١١؛الرباط؛ يوليو ١٩٣٣م.

٤٨ سيجريد هونكة؛ شمس العرب تسطع على الغرب؛ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى؛ دار الآفاق الجديدة؛ بيروت؛ ١٩٨٦م.

اللغة العربية من حيث اتجاهها من اليمين إلى الشمال، ومن حيث التدرج فالآحاد تسبق العشرات فى نفس اتجاه الكتابة العربية وهو أمر احتفظت به جميع اللغات الأوروبية حتى الآن .

إن مختلف المخطوطات والإثباتات العلمية فى قضية الرقم العربى تصب فى أصالة الصورة العربية للأرقام (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) وتدحض مقولة عروبة الأرقام الغبارية (9876543210.0) والتى نشأت فى فترة انحسار الحضارة العربية لتتلاءم مع شكل الحروف اللاتينية. إن إطلاق المستشرقين على تلك الصورة الغبارية لفظ عربية هو من قبيل الإثبات الجغرافى فهذه الأرقام نشأت أول ما نشأت فى الأندلس حيث الحضارة العربية وهذا الأسلوب شائع فى اللغات الأوربية حيث يطلقون على الشىء اسم مَنشَأه بالإضافة إلى أنه فى حالة تلك الأرقام الغبارية فإن إطلاق المستشرقين عليها اسم عربية جاء أيضاً لأن أى نظام ترقيم يتخذ عشرة أشكال فقط للتعبير عن مختلف الأرقام ويتبع نظام الخانات من آحاد وعشرات ومئات وآلاف يتبع منظومة الأرقام العربية فالمنظومة الغبارية منظومة ترقيم عربية. ويمكننا فى هذا السياق فهم كلام المستشرقين على أنه حديث عن المنشأ الجغرافى والمنظومة لكن الحقيقة تبقى فى أن هذه الأرقام الغبارية طُوِعَت لتلائم الحرف اللاتينى. أما حينما نتحدث نحن العرب عن الشكل الغبارى فلابد من تذكر أن هذا الشكل خرج من السياق العربى ليلائم الحرف اللاتينى ونحن نملك الشكل العربى الأصيل الذى لا ينازعنا فيه أحد والذى أنشأناه مع

منظومته إنشاءً منذ أكثر من إثنى عشر قرناً من الزمان[٤٩]. إن الفهم الصحيح لكلام المستشرقين والقراءة المتأنية لثوابت التاريخ والدعم العلمى لتلك الشواهد سوف يقودنا بلا محالة ليس فقط إلى التمسك بأرقامنا العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) بل إلى الدعوة لأن يتوحد العرب جميعهم على هذا الفهم المنطقى لتلك الحقائق حينما نسبر أغوار العبارات ونحللها ونميز الصحيح منها من العقيم.

- **دراسات لغوية عن الأرقام:**

ومن الجدير بالذكر أنه لم توافق أية جهة لغوية عربية على نبذ أرقامنا العربية المستعملة فى مصر ومشارقها، بل العكس هو الصحيح! وفى هذا السياق نشير إلى ما قام به مجمع اللغة العربية المصرى واتحاد المجامع العربية من دراسات فى هذا الخصوص انتهت كلها إلى التمسك بالأرقام العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) حيث أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ مايو عام ١٩٨٦م، وأوصى اتحاد المجامع العربية عام ١٩٨٧م دول المغرب العربى بالعودة إلى استعمالها. ولا يفوتنى أن أشير كذلك إلى جهود جامعة الأزهر والجمعية المصرية لتعريب العلوم فى هذا الصدد حيث أوليا موضوع الأرقام العربية ما يستحقه من اهتمام علمى.

ومن العجيب أنه رغم أصالة أرقامنا العربية الحقيقية (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) غيرت قلة من الدوريات والمؤسسات ذات المِسحَة والتوجه العربى الأرقام التى درجنا على استعمالها منذ

٤٩ إبراهيم المويلحى؛ الأصل العربى للأرقام والصفر؛ مجلة المجمع العلمى المصرى؛ المجلد ٧٢، ٧٣؛ القاهرة ١٩٩٤م.

نعومة أظافرنا متحدين مع من تشايع لنفس الموقف من المعسكرات الأخرى دونما موقف علمى. وإذا كان من الممكن قبول موقف من نادى بلفظ رقمنا العربى وقبول الرقم الآخر المستعمل فى أوروبا مكانه لأسباب كانت خافية وبرزت مع مضى الزمن لعدم وضوح موقفه المعلن، إلا أننا لا يمكننا قبول من يرفع توجه أصيل ويتغافل عن بنيان أكثر من ربع لغتنا العربية! إننا حينما نمحص مختلف المقالات التى حاولت أن تطعن فى لغتنا العربية بادئة بالحروف ثم متراجعة عنها إلى الأرقام لن يجد أية دراسة علمية يمكن الارتكان إليها فى هذا الصدد. ومن أطرف ما صدر بحث بعنوان "حول استعمال الأرقام العربية (الغبارية): الأسس وطريقة التنفيذ العملى"[٥٠] تقول بالحرف الواحد فى هذا الصدد: "يغلب على الظن أن العرب أخذوا عن الهنود سلسلتين من الأرقام إحداهما الأرقام المدعوة هندية: ١،٢،٣ ... والأرقام المدعوة عربية أو غبارية: 1,2,3... وإذا قيل أن كلا السلسلتين من أصل هندى، فإن ذلك يرجع إلى تعدد أشكال الأرقام التى كانت مستخدمة فى الهند بمناطقها المختلفة. ولعل العرب قد اكتفوا من هذه الأشكال بصنفين هذبوهما واستخدموهما وأشاعوا استعمالها". ودعونا نمحص تلك المقولة لنتبين أنها تخلو من الحقيقة وتحاول أن تسلب العرب فضل اختراع الأرقام رغم أن الهنود لا ينسبون لأنفسهم هذا الفضل! كما أن الثابت تاريخياً أن سلسلتى الأرقام لم تنشئا فى فترة زمنية واحدة كما هو ثابت من المخطوطات. إن مرور الأرقام الغربية من الهند التى تفاعلت مع العرب على حد زعم مصدر التقرير لم يترك أى أثر وراءه لتلك الأرقام فى كل بلاد المشرق العربى ومن ثَمَّ فإن الأمر يستدعى توصل هؤلاء الأقوام إلى

---

٥٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ حول استعمال الأرقام العربية (الغبارية) الأسس وطريقة التنفيذ العملى؛ مجلة شئون عربية؛ أكتوبر ١٩٨٣م.

صاروخ أخذ أكثر من ثلاثة قرون فى تلك الرحلة وقذف بتلك الأرقام إلى بلاد الأندلس التى ظهرت فيها تلك الأرقام أول ما ظهرت. وهو فرض مستحيل؛ يكون معه نشوء تلك الأرقام فى الأندلس أقرب للمنطق. أما بلاد المغرب فلم يكن لها دور حسب المخطوطات العربية فى ذلك الأمر بل انتقلت إليها الأرقام الغبارية مع من لجأ من العرب والمسلمين إلى تلك البقاع من الأندلس ولكن هذا لم يغير من شكل الرقم المستعمل فى بلاد المغرب بل استمر سكان تلك البلاد يستعملون رقمنا العربى ولكن بعض حكام تلك الأصقاع استعملوا الأرقام الغبارية فى مجال مخاطبة الفرنجة مثلما يتكرر ذلك الأمر فى تاريخنا؟! ولن يضيف ظهور الأرقام فى بلاد المغرب إلى تاريخ تلك البلاد أى جديد فهذه البلاد جزء من أمتنا وأهلها ينتسبون إلى كل تراثها وليكفهم هذا عن محاولة بعض الأصوات سلب أمتنا فضل من أبرز انجازات العقل البشرى وهو الرقم العربى الأصيل (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠). إن البحث عن ريادة متوهمة وإلقائها عبر الأثير لتصل إلى العدو قبل الصديق لخطأ لا يقل عن خطأ قبول تلك المقولة والذى هو خطأ فى منهاج التفكير! وفى نفس الوقت فإن ادعاء أى عربى يعتز بعروبته أنه قام بتطويع رقمنا العربى الأصيل ليُنشأ رقماً غبارياً يلائم الحرف اللاتينى فى زمن المناوشات اليومية مع هؤلاء الفرنجة فمقولة فيها من السلبيات الكثير الذى لا يعادله شىء آخر! وفى جميع الأحوال يبقى لنا كعرب أن نفخر أن مختلف الأرقام المستعملة فى عالمنا المعاصر فى كل العالم عربية المنظومة. ومن المفيد أن نشير إلى أن التاريخ لم يرصد أى استعمال عام للأرقام الغبارية فى بلاد المغرب قبل نصف قرن من يومنا هذا!

ثم ينص ذلك القرير على الآتى: "أنها (الغبارية) تحمل مبدأ العالمية الذى هو مبدأ سليم، كلما أمكن تحقيقه". وأتساءل أية عالمية يشير إليها التقرير؟! ويستمر ذلك التقرير المفيد جداً فى إبراز مصداقية منهجيته فى هذا الشأن حينما ينص على: "أن هذه الأرقام هى عربية الأصل ومازالت تحمل فى أوروبا اسم الأرقام العربية". وهنا يتناقض التقرير مع نفسه حينما يسلب الهنود حلةً خلعها عليهم فى بداية التقرير وحينما أخذ مما أطلقه الأوربيون على الأرقام من صفة فى أول التقرير ليكون سنداً لعروبة هذا الشكل الأوروبى من الأرقام. ودعونا نشير إلى هذه الفقرة من التقرير: "إن استعمال هذه الأرقام لن يكلف المتعلم العربى أكثر من تعلم تسع صور للأرقام إضافة إلى الصفر وهو أمر سهل جداً". ودعونى أضيف كما أن استعمال ستة وعشرين صورة للحروف الأوربية أمر سهل أيضاً تتطلبه ظروف العولمة كما أشار التقرير ذاته. ولعل هذه الفقرة من التقرير توضح كيف يمكن للموضوعية أن تلعب دوراً فى أسباب نبذ رقمنا العربى الأصيل حينما ينص التقرير على: "أنها تغنى عن ترجمة الجداول الرياضية وتخفف أعباء ترجمة الكتب العلمية". ولعلنا لم نشاهد فى أية مراجع علمية أية جداول لم تشمل الكلمات والحروف بجانب الأرقام إلا ما أنجزه البعض والذى لم أطلع عليه! وللأمانة فإن التقرير ذاته نص فى سياق ما قام به مجمع اللغة العربية المصرى فى هذا الشأن على ما قرره المجمع حيث نص: "إننا نرى أن يعرض الأمر على اتحاد المجامع اللغوية بغية تنسيق طريقة كتابة الأرقام بين البلاد العربية". إنه لمن المفيد أن أكرر قرار اتحاد المجامع العربية الصادر عام ١٩٨٧م والذى يوصى بالتعريب للأرقام المشرقية فى دول المغرب العربى حيث تستعمل الأرقام الغربية. فهل لنا أن نعارض قرار أعلى هيئة لغوية عربية بدون سبب

منطقى؟! بل هل لنا أن نتساءل عما وصل إليه الأمر حتى تأخذ بعض المؤسسات الثقافية الحكومية المصرية بتلك الدعاوى المشبوهة دونما تمحيص؟!

إن المتابع للدعوة إلى استخدام الأرقام الغبارية لا يسعه إلا التدقيق فى أهداف هذه الفرية حين يجد رائحتها تفوح من التوجهات التى تَدّعِى التمشى مع الاتجاه الدولى العام والتى تتعلق بالعديد من أسس الكتابة العربية ومنها طريقة كتابة التأريخ ليكون من الشمال إلى اليمين بما يتفق مع اتجاه الكتابة اللاتينية. ونشير هنا إلى أن منظومة الأرقام العشرية (وتشمل المنظومة العربية الأصيلة والمنظومة الغبارية) تتخذ الوحدات الأصغر على اليمين ثم الأكبر على شمالها وهكذا. وهذا هو الاتجاه المنطقى فى اللغة العربية حيث اتجاه الكتابة من اليمين إلى الشمال. وأشير إلى أنه فى تخصص هندسة الحاسبات تمت محاولات لعكس هذا الوضع تمشياً مع اتجاه الكتابة فى اللغات الأوربية ولكنها فشلت. لقد صَدَّرنا للعالم أجمع طريقة واتجاه العد من اليمين إلى الشمال فهل فى هذا تراجع؟! وأود أن أتساءل فى هذا السياق هل ستكون طريقة الكتابة الدولية للغات اللاتينية التى تسير من الشمال إلى اليمين هى الأخرى المتبعة فى كتابة حروف لغتنا العربية؟!

ومن المفارقات التى نسمعها أحياناً شيوع استخدام الأرقام الغبارية فى الأجهزة الهندسية ومن ثَمَّ بات علينا ترك أرقامنا لصالح تلك الأرقام تماماً كالدعوة التى أثيرت فى أربعينيات القرن الميلادى المنصرم إلى نبذ الحرف العربى واستخدام الحرف اللاتينى بدلاً منه. إن شيوع تلك الأرقام فيما نستورده من أجهزة مردة تجاهلنا لبعض مفردات ثقافتنا وتقاعسنا عن طلب أدلة

تشغيل المعدات مثلاً باللغة العربية، والذى هو تقصير مننا. وهو أمر يشير كذلك إلى عدم قيامنا بالجهد المطلوب للتنمية والتقاعس عن بذل الجهد لدفع أمتنا إلى التقدم الذى يأتى لنا فى صورة منتجات. ويجدر بنا الإشارة إلى أن أغلب الأجهزة بمختلف أنواعها لا تعرف فى عملها شكلاً للرقم بل هى تتعامل مع شفرة الرقم ولا علاقة له بالشكل ويمكننا تجربة ذلك عن طريق تغيير شكل إظهار رسم الرقم فى أجهزة الحواسب بين الشكل العربى الأصيل والشكل الغبارى عن طريق أمر واحد من لوحة المفاتيح نتمكن من خلاله استخدام أى شكل نريده بل ومزج كلا الشكلين فى نفس الوثيقة كما فى هذه الدراسة. لقد أتى لنا الهاتف المحمول على سبيل المثال وهو من أكثر التقنيات تقدماً بالرقم الغبارى وبالرقم العربى الأصيل لمن يريده!

يحاول البعض دفعنا إلى استخدام الرقم الغبارى بدلاً من أن يهيل عليه الغبار بحجج متعددة منها أن العالم أصبح الآن قرية واحدة ومنها العولمة التى يفهمها البعض على أنها ذوبان فى الآخر ويفهمها بعضنا على أنها حالة استنفار للتعامل مع آلياتها بثقافتنا وبلغتنا وبما تتيحه العولمة لمن يحافظ على كيانه. ولا مجال للحديث عن هجرنا لرقمنا الأصيل ولحرفنا ولثقافتنا فى سبيل العولمة فى محضر الحفاظ على خصوصيتنا الثقافية التى تنادى بها العولمة لمن يتفهم نصوصها ويعى أبعادها. وليبقى من يجزم بأن العالم لن يستخدم سوى شكل واحد من الأرقام أو الحروف فى غيه ولنذكره بأن الدعوة لتبنى لغة واحدة فى العالم باءت بالفشل وغدت الترجمة ضرورية بين الدول الأوربية وبعض شعوبها يتحدث لغات لا تتجاوز حدودهم ولا يتجاوز عدد ملايين المتحدثين بها عدد ملايينهم أصابع اليد الواحدة ولم ينادِ أى منهم بلفظ لغته والذوبان فى أى كيان آخر!

- **منهجية التفكير:**

تشير الدراسات العلمية بلا استثناء إلى أن تغيير أى مسار لابد له من باعث حتى يتسق الفكر مع القواعد المنهجية للتفكير[٥١]. ولهذا نتساءل ما هو باعث من يرفع شعار العروبة كى يلفظ رقمنا العربى الأصيل؟ هل هناك أية دراسة تعالج الأسباب الحقيقية لذلك، وهو أمر محتمل؟ فإذا وجدت تلك الدراسات دعونا نطلع عليها علنا نجد فيها ما يدعونا إلى لفظ حرفنا العربى الذى نوقش فى مجمع اللغة العربية فى أربعينيات القرن العشرين الميلادى المنصرم! لقد نبذ البعض رقمنا العربى منذ فترة ثم عرفوا الحقيقة فعادوا إلى الحق عوداً حميداً. عادوا إلى حظيرة العربية النقية. وأذكر منهم مجلة المنار الجديد ومجلة الفيصل وجريدة عقيدتى وغيرهم. فهل لكل نخبة تقف على أمر أى عمل يرفع علم العربية أن تحذو حذو تلك الصحف والمجلات؟ وإذا كانت الإجابة بالنفى فهل لنا أن نطلب من تلك النخبة أن يبرهنوا على أن ما تم من لفظ لأكثر من ربع لغتنا التى تتكون من الحرف والرقم والتى استمر استعمالها أكثر من إثنى عشر قرناً بدون سبب قوى يعادل ذلك الثبات يدخل فى باب الاجتهاد وأنه ليس خطأً منهجياً؟!

إن تمسك المشرق بالأرقام العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) فيه حفاظ على اللغة العربية ذاتها التى تتشكل مفرداتها من الحروف بجانب هذه الصورة من الأرقام، وحفاظ على تواصل التراث العربى القديم بزمننا الحاضر، ومحافظة على هويتنا، ويسر للتواصل بين البلاد الإسلامية غير العربية التى تستخدمها. فالأرقام العربية الأصيلة أكثر ملاءمة للحروف العربية

---

٥١ نجيب الحصادى؛ تقريظ المنطق؛ جامعة قار يونس؛ بنغازى؛ ١٩٩٥م.

وانتماء إليها والتصاقاً بها على مر العصور، علاوة على أنها أكثر كفاءة من الأرقام الغبارية، ومن ثَمَّ يكون من المنطقى أن يتوحد العرب جميعهم على الأرقام العربية الأصيلة فالتمسك بها تمسك بالعربية. أما الأرقام الغبارية المستعملة حالياً فى أوروبا والتى طوعت لتلائم الحرف اللاتينى فدرس التاريخ يقول أن قبولها عند مَن نبذ الحرف العربى كان تمهيداً لتغيير الحروف العربية ذاتها!

١٠. التعريب والقانون:

من خصائص قضية التعريب أن أركانها القانونية شبه متكاملة فلا يوجد موقف قانونى ضد القضية بل على العكس يمكن ملاحظة اهتماماً متزايداً بالقضية. فلم يلغ القانون الموقف المؤيد للقضية ابتداءً تاركاً الباب مفتوحاً للمبادرات الفردية وهى الأساس فى الكثير من الأعمال خاصة مع غياب خطط حقيقية للتعليم تأخذ فى اعتبارها البعد القومى شاملاً عنصر اللغة كمكون أصيل فى تشكيل الهوية. هذا الموقف يستحضر المبادرات الفردية لريادة طريق إعادة العربية إلى موقعها فى مختلف مناحى الحياة كلغة قومية[٥٢]. وهذا يستتبع تكثيف الدعوة فى مختلف الأوساط وخاصة الجامعية لتوضيح أبعاد القضية خاصة وأن قانون الجامعات ينص على وجوب التدريس بالعربية، ويبقى فقط تفعيل أعضاء هيئات التدريس لذلك طوعاً! والأمثلة كثيرة على العديد من التجاوزات فى العديد من المجالات فالموقف المتردى لوضع اللغة فى النظام التعليمى العام والذى يساوى بينها وبين اللغة الأجنبية فى عدد ساعات

٥٢ محمد يونس الحملاوى؛ نحو رؤية لقضية تعريب العلوم: الكفاءة والتشريع؛ المؤتمر السنوى السابع لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ٦-٨ فبراير ٢٠٠١م

الدرس فى المدارس الحكومية فى السنوات النهائية من المرحلة الثانوية (إضافة إلى وضع اللغة العربية ومختلف مكوناتها فى وضع نسبى متدنى من حيث الحمل الملقى على عاتق الطالب مقارنة باللغة الأجنبية) لا يتطابق مع نصوص الدستور والقانون من وضع أصيل للغة العربية فى المجتمع. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن إنشاء المدارس التجريبية (وهى مدارس لا يتطابق مسماها مع واقعها لأنها مدارس لتعليم المواد العلمية بغير اللغة العربية وليست تجريبية فى نظامها التعليمى) يعد مخالفة للنظام العام الذى ينص على أن العربية هى لغة الدولة الرسمية. وإذا كان ثَمَّ مبرراً ملحاً لتعليم اللغة الأجنبية فلا يجب أن يطغى ذلك على اللغة القومية وعلى الأساس العلمى للمؤسسات التعليمية والتى لا تهدف فقط للترويج للغة أو لثقافة أجنبية بل يجب أن تكون رسالتها هى تيسير العلم بمختلف فروعه (رياضة، كيمياء، لغة عربية، لغة أجنبية،...) لأبناء الوطن جميعهم. لقد أثبتت الدراسات أن كفاءة خريج تلك المدارس أقل فى مستواه العلمى من خريج مدارس التعليم الحكومى العام الذى يكون فيه تدريس مختلف المواد العلمية باللغة العربية عدا مواد اللغة الأجنبية، ناهيك عن المخاطر التى تتعلق بهوية طلبة تلك المدارس (إضافة إلى مدارس اللغات الخاصة والمدارس التى لا تخضع للنظام التعليمى المصرى) فى تلك المراحل المبكرة حينما لا تكون العربية لغة تعاملهم العلمى، ومن ثَمَّ يكون التساؤل عن جدوى الإنفاق على تلك المدارس التجريبية من المال العام! كما أن الممارسات اللغوية لبعض المؤسسات العامة يقصر عن التطابق مع نصوص القانون وروحه بالنسبة للغة العربية. فلقد بدأت بعض بنوك القطاع العام مخاطبة عملائها بغير اللغة العربية، كما بدأت بعض الهيئات الحكومية فى الإعلان عن خدماتها بغير اللغة العربية. إضافة إلى ذلك نجد أن بعض القوانين الخاصة كقانون الاستثمار فى سماحِه للمؤسسات

الخاضعة لأحكامه بالتعامل بغير اللغة العربية يتعارض مع القوانين المُؤسِسَة للنظام العام. ولا أعتقد أن الوضع التعليمى والاجتماعى سوف ينتهى إلى الوصول إلى مرحلة الامتيازات الأجنبية إلا أن المؤشرات تشير إلى مخاطر وشيكة من جراء تغريب أوجه الحياة العامة يجب التعامل معها قبل أن تستفحل، فقد يكون من الصواب تعديل بعض بنود القوانين القائمة لتجريم مخالفة قواعد النظام العام والذى يشمل اللغة؟! وليكن فيما تردد فى مجلس الشعب من معلومة غير دقيقة عن الأرقام العربية مجالاً لتكريس الجهد للتبصير بكفاءة مكونات لغتنا العربية وكفاءة مفرداتها وما يمكن أن تجلبه للاقتصاد القومى ولمسيرة التنمية من فوائد فأرقامنا العربية أكفأ من الأرقام المستعملة فى أوروبا كما أن حروفنا العربية أكفأ من الحروف اللاتينية وأكثر اقتصادية منها، وهو أمر يحتاج إلى جهد الجميع المتأنى المثابر المستمر للتبصير بمفردات اللغة العربية وبكفاءتها وكفاءة استخدامها والعائد التنموى من جراء ذلك حتى نضع قضية التعريب فى مكانها الصحيح من منظومة التنمية القومية تنفيذياً وتشريعياً.

إن ممارسات المؤسسات العامة والحكومية التى تنفق من المال العام مخالف لصريح الدستور فما ينبغى إنفاق المال العام فى أمور تتعارض مع نصوص الدستور. فحينما نفرض على الطلبة الامتحان وتلقى العلم بلغة غير لغته القومية وعندما تصلنا مطالبات مصارف القطاع العام بلغة أجنبية وعندما تُعلن تلك الجهات عن وظائفها بلغة أجنبية نكون مخالفين لصريح القانون ولصريح نصوص الدستور. إن ما يتم يتم بناء على قرارات لا ترقى لمستوى القانون وتتعارض مع صريحه. والأمر الجدير بالتأمل أن الدستور المصرى قد نص صراحة على أن اللغة العربية هى لغة البلاد ولم يُحِل تفسير ذلك إلى أية قانون أو إلى أية جهة لتفسير ذلك

فكان النص نصاً قاطعاً ورغماً عن ذلك أعطى قانون الجامعات سلطة اتخاذ قرار متعارض معه إلى مجالس الجامعات؟! ألسنا مع السيادة الكاملة للدستور والقوانين التى لا تتعارض معه؟ ألم يؤكد القانون أن التعليم باللغات الأجنبية هو لأبناء الجاليات الأجنبية فقط فلماذا نسمح للمصريين بالالتحاق بتلك المدارس التى هى فى الأساس لخدمة أبناء العاملين بالسفارات الأجنبية؟! أليس الحل فى احترام الدستور وما تترجمه القوانين من نصوص الدستور وفى التطبيق الفورى للنصوص الملزمة من الدستور والقوانين المفسرة له؟!

ألا يستوجب الأمر أن يقوم رجال التشريع بمراجعة القوانين واللوائح المتعلقة بلغة التَعَلُّم وتعليم اللغات فى مراحل التعليم المختلفة، وذلك فى ضوء الدستور والمبادئ القانونية المستقرة، لإصدار ما يتفق معها اتفاقاً لا لبس فيه، وأن يقوموا بمراجعة القوانين الخاصة باستخدام اللغة العربية فى الدولة، وإصدار قانون شامل يجمعها ويستكمل ما قد يكون فيها من نقص، إضافة إلى التوصية بالحزم فى مراقبة تنفيذ هذا القانون ومتابعة كل ما يستجد فى هذا المضمار[٥٣].

١١. أركان قضية تعريب العلوم:

لكل قضية إطار فكرى تتحرك فيه تعتمد فى تنفيذه على عدة آليات تشكل أركان هذا الإطار[٥٤]. لقد بات الاعتماد على الجهود الحكومية فقط سراباً حيث لا تقوى تلك الجهود على النهوض بمجتمعنا العربى للعديد من المعوقات التى يشير إليها بوضوح تدنى معدلات التنمية فى جميع

٥٣ توصيات المؤتمر السنوى الثامن لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ٢٠-٢١ مارس ٢٠٠٢م

٥٤ محمد يونس الحملاوى؛ نحو رؤية علمية لبعض مفردات قضية التعريب؛ ندوة المسئولين عن تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى؛ دمشق؛ ٩-١١ أكتوبر ٢٠٠٠م

أرجاء وطننا العربى[٥٥]. ويكفى أن نشير إلى أن أمتنا العربية التى كانت تزخر بالكتب والمكتبات باتت تعانى من قصور فى عدد الكتب الصادرة سنوياً. ولنقارن بين الأرقام فى أوروبا قديماً وحديثاً لنجد أنه خلال القرون التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر الميلاديين كان الأوربيون لا يستطيعون القراءة والكتابة[٥٦] أما الآن فنسب الأمية فى وطننا العربى لا تخفى على أحد. لقد باتت من الواضح تفاقم مشكلة التنمية فى المنطقة العربية واستصراخها كل جهد كى ننتشل أمتنا مما هى فيه عن طريق إتاحة العلم وتبسيطه للجميع حتى نستطيع أن نستجمع كل جهود الأفراد فى محصلة موجبة ولن يتأتى هذا إلا من خلال تعريب التعليم ومختلف مناحى الحياة، بجانب أن فى تعريب الأمة إظهار لوجهها الحضارى لأبنائها ومحافظة على هويتها ودفعاً لها فى طريق التنمية.

لقد كان غياب القدوة من أخطر عوامل تقاعسنا عن بذل الجهد فى الإصلاح فى شتى مناحى الحياة ومن ثم فإن نقل القضية مهما كان تصور حلها بسيطاً إلى الواقع المعاش بكافة صوره جد مطلوبة كى تكون هذه الطليعة قدوة فى طريق الإصلاح، قدوة مؤثرة لا تلتفت إلا إلى دفع أمتنا إلى مكان كان لها زمناً طويلاً، ثم تقاعست عن بذل الجهد للحفاظ عليه فتكالبت علينا عوامل الضعف والوهن من الداخل قبل الخارج. ورغم أن جهداً كثيراً قد بذل فى قضية التعريب ولكن لم تؤت القضية أكلها وهو ما يدفعنا إلى تلمس أسباب ذلك حيث أن القضية أبسط مما بذل فيها من جهد من وجهة نظرى على الأقل. وتحاول الدراسة تتبع بعض أسباب تحقيق

---

٥٥ برنامج الأمم المتحدة الإنمائى؛ تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩م؛ نيويورك؛ ١٩٩٩م.

٥٦ زيغريد هونكة؛ شمس العرب تسطع على الغرب؛ دار الآفاق الجديدة؛ بيروت؛ ١٩٨٦م.

التقدم المرجو فى قضية التعريب حيث انتكست جهود كثيرة ولكن بزغت جهود أخرى تتعاظم عسى أن تقوم بدور مطلوب فى هذا المجال.

نحاول هنا أن نرصد الموقف الحالى لبعض مفردات قضية التعريب المتعلقة بالبشر عماد أية نهضة وعماد أية حضارة. ورغم أن سوء الوضع التنموى الحالى فى مختلف أرجاء أمتنا العربية فى نظر البعض مثبط ومحبط للآمال إلا أن الفرق بين ما نحن فيه وما نصبو إليه هو الحافز كى نقلل تلك الفجوة! كثيراً ما أسمع من أساتذة فى الجامعات فى محض رفضهم لتعريب التعليم أننا ننهل العلم من الأجانب ولم نصل بعد إلى مبلغ علمهم ولهذا لابد من أن نقوم بالتدريس بلغة من عندهم العلم! خلط عجيب بين الأسباب والنتائج وممن؟! من أساتذة فى الجامعات! كان ذلك غريباً ولكن لم ولن يصبح ذلك مثبطاً للهمة للبعض. ولكن من هم البعض الذى أعنيهم؟ إن لم يكن من يتصدر لقضية التعريب هم البعض فمن هم يا ترى الذين يجب أن تكون المفاهيم واضحة فى أذهانهم بل ويجبرون أنفسهم بكل السبل على تطبيقها كى يكونوا تطبيقاً متحركاً وأنموذجاً يُحتذى. هل لنا أن نستخدم أسلوب المرايا كى نرى أنفسنا بها علنا ندرك فيها أخطاءنا قبل أن نبصر إيجابياتنا؟ ويمكن الوصول إلى نفس النتيجة على ما أعتقد إن نحن حاولنا معرفة أسباب الجهد المضنى الذى نبذله دون أن يؤتى أكله.

لقضية التعريب أركان عديدة كقضية تنمية تشمل مختلف أنشطة المجتمع ولكنها تختلف عن العديد من القضايا الأخرى لأنها تقوم على جهود الأفراد والهيئات الأهلية لتصل القضية إلى صدارة العمل المجتمعى وعندئذٍ يكون للجهد الحكومى دور وليس العكس. القضية تحتاج إلى

جهد الفرد قبل جهد المؤسسة، فلكل فرد ما يستطيع أن يقدمه فى هذه القضية بدءً من العزوف عن تأجيج نار التغريب ووصولاً إلى الدعوة المقنعة بالقضية عملاً، وبممارسة ما يدعو إليه، وليس قولاً، من خلال خطبة عصماء لا تفرق بين المؤمن والمنافق فى هذه القضية. القضية تعتمد على جهود المخلصين لدستور وقوانين المجتمع التى تنص صراحة على أن اللغة العربية هى لغة المجتمع وهى لغة التعليم فى مختلف مراحله. ولكن ما العمل والسياق العام الذى يسير فيه المجتمع والذى لم يفضِ إلى تقدم ما منذ نُكبنا بالاحتلال البريطانى يشير إلى الاعتماد على اللغة الأجنبية كوسيط تعليمى؟ والحل بسيط فى أن نتمسك بثوابت الأمة وبنصوص الدستور والقانون الصريحة التى لا يستطيع أى فرد وطنى أو عميل أن يعارضها وأن يضادها صراحة. كلٍ فى موقعه عليه واجب مجتمعى إن هو تقاعس عن بذله انفصمت عُرى المجتمع وسهل على سايكس وبيكو تحقيق أحلامهما فى تفتيت أمتنا بل وسهل على أشباح سايكس وبيكو تحقيق مآربهم فى تفتيت أوصال القطر الواحد من خلال الترويج للغات أجنبية ولحروف لآتينية ولعاميات لا يمكن لأى أمة من خلالها أن تتماسك لبناتها وتكون النتيجة الانهيار التام وتفتيت أواصر المجتمع. لقد أضحت اللغة العربية الرباط الوحيد الذى يحافظ على تماسك لبنات المجتمع العربى ليستمر عربياً، فلم يتبقَ للعرب من رابط يجمعهم سوياً سوى اللغة العربية. وكذلك لم يبقَ لمواطنى القطر الواحد من رباط يجمعهم أقوى من اللغة. لقد أدرك العديد من القادة ذلك النهج فكان الاهتمام باللغة الفرنسية عامل توحيد للفرنسيين، كما أدت اللغة الأيرلندية دورها فى تكوين الشخصية الأيرلندية وبعث تلك الأمة من جديد[٥٧].

---

٥٧ محمد يونس الحملاوى؛ تعريب العلوم والثقافة؛ منتدى المثقف العربى؛ القاهرة؛ ٥ أغسطس ٢٠٠١م

أيمكن لمن حمل معول هدم أو تقويض أو تهميش للغة الأمة أن يكون وطنياً؟ وهل يمكن للأمة أن تنهض على أكتاف مَن لا يرى بديلاً للغة المحتل كلغة للعلم والتعليم؟ لقد وقف وزير المعارف قديماً ضد إرادة الأمة فى مجلس النواب ليتحدى الأمة ورغم ذلك مجده البعض ورفعوه إلى مرتبة الزعامة، وكذلك الحال مع مَن طالب ومَن أثنى على استعمال الحرف اللاتينى بدلاً من الحرف العربى قديماً، فكرمهم البعض وأثنوا عليهم واعتبروهم رواداً ليس للغة المحتل ولكن لثقافتنا العربية! فهل يتكرر هذا الآن؟ وهل يمكننا أن تدخل الممارسات اللغوية فى الحكم على توجه المؤسسات؟

- **بعض محاور قضية التعريب:**

فى كثير من القضايا؛ إن لم يكن كلها؛ يلزم أن نحدد أين نقف وماذا نبغى كى نحدد حجم الجهد المطلوب واتجاهه ومن ثم نصمم أقصر مسار لتحقيق الهدف. وقد يضطرنا هذا إلى تفكيك بعض الجوانب وإعادة بنائها كما يضطرنا أحياناً إلى دمج بعض الجزئيات كى تزداد بقربها تماسكاً. وتركز الدراسة على الأفراد والجمعيات العلمية فى المقام الأول رغم أنه على المؤسسات الوطنية والقومية دور لا يجب أن تتقاعس عنه. ولكن التركيز على الجانب الفردى والأهلى فى القضية يأتى فى أولويات الإصلاح، فهؤلاء الأفراد الذين نتوجه إليهم هم من اختاروا هذا التوجه طواعية كما أنهم؛ هم أنفسهم؛ الذين يقومون بالعمل داخل تلك المؤسسات العامة؛ على ما أعتقد؟؛ وذلك إضافة إلى أن هذا النقد الذاتى هو ما يجب أن يشكل أحد أبعاد فكر من يتصدى لقضية أظنها محورية فى أمتنا وأعنى بها هنا قضية التعريب عله يجد فيها نقاطاً أساسية ينطلق منها لتحقيق أعلى أداء فى محيطه. إن التوقف فى محطات فى طريق

العمل جد مطلوب كى نستطيع أن نستلهم من تبادل الآراء معيناً لنا يعيننا على استكمال مسيرة الجهد. ولا يجب أن ننسى أنه من جملة ٥٣١ معجماً عربياً تم إصدارها فى القرن الميلادى المنصرم وحتى عام ١٩٨٤م كان نصيب الأفراد من هذا الرقم ٢٨٤ معجماً. أى أن الأفراد الرواد العرب قد استطاعوا إنجاز عدداً من المعاجم يزيد عما قامت به المؤسسات والهيئات الوطنية مثل مجامع اللغة العربية بالإضافة إلى المؤسسات والهيئات القومية مثل جامعة الدول العربية ومنظماتها بالإضافة إلى المؤسسات والهيئات الأجنبية[٥٨]. وتتلخص المحاور التى نبحثها فى النقاط التالية:

- **توحيد المصطلحات:**

كثيراً ما يكون توحيد المصطلح حجر عثرة فى طريق التعريب بدواعٍ شخصية غالباً وقطرية أحياناً وهو ما يعكس حالة التشرذم التى نحياها فكرياً ومن هنا بات على من يتصدى لقضية التعريب أن يقبل بالحلول التى وضعتها مجامع اللغة العربية من خلال اتحاد المجامع العربية الذى يشكل الإطار القومى لمجهودات مجامع اللغة العربية بالإضافة إلى مكتب تنسيق التعريب وجهود الأفراد والهيئات الأخرى التى ساهمت فى توليد المصطلح العلمى فى الفترة الحالية دون تعصب شخصى غير موضوعى. ولنعرف أن المصطلح فى مختلف اللغات وفى مختلف التخصصات يأخذ عدة سنوات حتى يستقر ومن ثَمَّ فإن مطالبة اللغة العربية بأن تتبع مصطلحات مستقرة من البداية يضع علامات وعلامات على الدوافع من وراء هذا التوجه الذى

٥٨ شحادة الخورى؛ المعاجم المتخصصة ودورها فى نشر المصطلح وخدمة التعريب؛ الندوة السنوية لتعريب التعليم العالى فى الجامعات العربية؛ دمشق؛ ١٨-٢٠ ديسمبر ١٩٩٥م.

هو فى صميمه كلمة حق يراد بها باطل. والجانب الآخر لهذا التوجه الذى أراه هو المعاونة فى نشر مختلف الجهود التى تمت فى هذا المجال بصورة مجمعة شبيهة بما قام به المكتب الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية بشرق المتوسط فى مجال تعريب المصطلحات الطبية[٥٩]. ولا يعنى هذا العزوف عن المشاركة فى أعمال تلك الهيئات بل يعنى فقط عدم اعتبار الأمر حجر عثرة فى طريق التعريب فالمصطلحات ما هى إلا جزئية من جزئيات القضية. كما لا يعنى هذا عدم تنسيق الجهود فى هذا المجال بل العكس هو المقصود كى نراجع؛ كل حين؛ أساسيات توليد المصطلحات التى باتت تستصرخنا كى لا يشدنا المصطلح بعيداً عن العلم النى نريد أن نفهمه وكى لا نتلمس الفروع لنضع مصطلحات لا تقرب العلم إلينا. لا نغالى إن نحن وضعنا قضية المصطلح فى موضعها فالمصطلحات تمثل ٢-٣% من حجم المادة العلمية فى أغلب العلوم التطبيقية كما أن اللبنة الأولى منها متوفرة على أسوأ الفروض فلا جدال أن بها إنجازاً.

- **توحيد الرموز العلمية:**

تشتكى الرموز العلمية بصورة أشد مما تشتكى منه المصطلحات ففى العديد من العلوم ارتمت تلك الرموز فى أحضان الرمز الأجنبى واستسلمت له دونما سبب معلن سوى أن هذه الرموز عالمية. والأمر المثار أحياناً عن الحرف العربى هو ذاته المثار عن الرمز وهو عالمية الحرف اللاتينى. ورغم تناول اتحاد المجامع العربية لقضية الرمز إلا أن قراراته والتى خلصت إلى استخدام الرموز المبنية على الحرف العربى، ذهبت أدراج الرياح دونما سبب معلن أيضاً! فهل يكون فى التمسك بقرارات مجمع اللغة العربية المصرى[٦٠] واتحاد المجامع اللغوية العلمية

٥٩ المعجم الطبى الموحد: إنجليزى – عربى – فرنسى؛ منظمة الصحة العالمية؛ بغداد؛ ١٩٨٣م

٦٠ الرموز والوحدات والدلالات فى اللغة العلمية العربية؛ مجمع اللغة العربية؛ القاهرة؛ مايو ١٩٨٦م.

العربية[٦١] نقطة انطلاقنا فى قضية الرمز العلمى العربى على الأقل فيما نكتبه أو نتعرض له من أعمالنا؟[٦٢]

- **توحيد رسم الأرقام العربية:**

قضية الرقم العربى لم تنشأ إلا منذ حوالى أربعين سنة فقط من خلال بعض التوجهات القطرية خاصة بعض دول شمال أفريقيا وبعض الدراسات التى لم تعضدها جهود أية جهة لغوية عربية والتى أوصت بنبذ الرقم العربى الأصيل (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) واستعمال الرقم الغبارى (0123456789) المستعمل فى أوروبا محله. ولقد قامت عدة جهات لغوية وعلمية عربية منها مجمع اللغة العربية المصرى ومجمع اللغة العربية الأردنى واتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية وجامعة الأزهر بمصر بدراسة الأمر وأوصت بالتمسك بالرقم العربى المشرقى الأصيل (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠). كما قامت الجمعية المصرية لتعريب العلوم[٦٣] بالعديد من الراسات وعقدت عدة ندوات فى هذا الخصوص بالتعاون مع العديد من الجهات العلمية واللغوية وخلصت إلى نفس النتائج بالتمسك بالرقم العربى المشرقى الأصيل ورأت فى هذا الرقم حفاظ على تواصل التراث العلمى العربى القديم بزمننا الحاضر، ومحافظة على هويتنا، كما خلصت تلك الجهود إلى أن الأرقام المشرقية أكثر

---

٦١ الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية؛ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية؛ القاهرة؛ يناير ١٩٨٧م.

٦٢ محمد يونس الحملاوى و محمد يسرى النحاس؛ ندوة الرموز ومكانتها فى قضية التعريب؛ القاهرة؛ ٢٧ فبراير ١٩٩٧م.

٦٣ توصيات ندوة الخطوات العلمية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ الجمعية المصرية لتعريب العلوم بالتعاون مع جامعة الأزهر ومجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.

ملاءمة للحروف العربية وانتماءً إليها، وأن الأرقام المشرقية أكثر تمايزاً بين بعضها البعض مما هو قائم بين الأرقام الغبارية. كما أوصت الدراسات إلى أن الأرقام المشرقية أقدم استخداماً فى الكتابة العربية وأنها ظلت أكثر ثباتاً على صورتها الحالية على مر العصور. ورغم هذا ما زال البعض يدعى أن أرقامنا المشرقية هندية وهو قول لا أصل له علمياً وما زال البعض يدعى أن الأرقام التى تستعمل فى أوروبا عربية وهو قول منقوص يراد به فى كتابات المستشرقين منظومة الأرقام العربية فى مقابل منظومة الأرقام الرومانية. فهل لنا أن نضرب بقرارات الهيئات اللغوية والجامعات التى درست الأمر عرض الحائط ونهجر ٢٧% من لغتنا للأسف فى العديد من الجهات ومن قبل العديد من الأفراد ثم نطالب بالتعريب؟! والأمر المفيد ذكره فى هذا الصدد أن العديدين ممن يتوجهون وراء مقولة عروبة الأرقام المستعملة فى أوروبا سرعان ما يكتشفون الحقيقة عندما تعرض عليهم القضية بكامل أبعادها وسرعان ما يعودون إلى أرقامنا المشرقية العربية الأصيلة[٦٤]. ولابد من الإشارة فى هذا السياق إلى الجهود المتميزة التى تضطلع بها الهيئة المصرية العامة للتوحيد القياسى وجودة الإنتاج فى سبيل تنميط وتقييس شكل الرقم العربى والحرف العربى[٦٥-٦٦]. إن تمسك المشرق بالأرقام العربية الأصيلة (٩٨٧٦٥٤٣٢١٠,٠) فيه حفاظ على اللغة العربية ذاتها التى تتشكل مفرداتها من الحروف بجانب هذه الصورة من الأرقام، وحفاظ على تواصل التراث العربى القديم بزمننا الحاضر،

---

٦٤ محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ شبهات متوهمة حول أرقامنا العربية المشرقية الأصيلة؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.

٦٥ بحث مشترك مع آخرين؛ توصيف شكل مجموعة الأرقام العربية؛ ندوة الأرقام العربية: حيثيات وأحكام؛ القاهرة؛ ٩ يناير ٢٠٠٢م

٦٦ بحث مشترك مع آخرين؛ توصيف قياسى لأشكال مجموعة الأرقام العربية؛ ندوة القياسات الهندسية فى تدعيم منظومة الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ٢٦ يناير ٢٠٠٢م

ومحافظة على هويتنا، ويسر للتواصل بين البلاد الإسلامية غير العربية التى تستخدمها. فالأرقام العربية الأصيلة أكثر ملاءمة للحروف العربية وانتماء إليها والتصاقاً بها على مر العصور، علاوة على أنها أكثر كفاءة من الأرقام الغربية، ومن ثَمَّ يكون من المنطقى أن يتوحد العرب جميعهم على الأرقام العربية الأصيلة فالتمسك بها تمسك بالعربية[٦٧].

- **تجربة الدول التى تقوم بالتدريس بالعربية فى مؤسسات التعليم العالى العربية:**

لا تبالى أغلب تلك المؤسسات بتقييم توجهها البديهى بالتدريس بلغتها القومية. ومع التدهور فى مختلف مؤسساتنا التعليمية وجد البعض فى هذا التدنى وفى عجزهم عن مواجهته فرصة للطعن فى التدريس بالعربية مما أستوجب القيام بالدراسات للرد على هؤلاء المغرضين وكذلك لدراسة أى أوجه قصور فى ممارسات التعريب وتقوية وترسيخ جذورها بهدف إصلاح التعليم ودفع أمتنا إلى الأمام. وتمتاز الدراسات التى تناولت هذا الجانب بالبحث بالندرة. وفى حدود ما أعلم فلقد قام مجمع اللغة العربية الأردنى بدراسة فى هذا الشأن[٦٨] كما قام بعض أساتذة الجامعات المصرية بدراسات فى هذا الشأن أيضاً[٦٩-٧٠-٧١-٧٢]. وفى رأيى أن التجارب

٦٧ توصيات ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م

٦٨ لطفى أيوب لطفية ويعقوب أبو حلو؛ تقييم المرحلة الأولى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى التى تتبناها مجمع اللغة العربية الأردنى؛ مجمع اللغة العربية الأردنى؛ عمان؛ ١٩٨٢م.

٦٩ محمد خيرى مقلد ومحمد يونس الحملاوى؛ دراسة تأثير لغة التعليم فى المرحلة الثانوية فى أداء الطلاب فى المرحلة الجامعية: دراسة على طلبة كلية الطب جامعة عين شمس؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.

٧٠ محمد يونس الحملاوى ؛ تأثير لغة التعليم فى تفوق الطلاب فى المرحلة الإعدادية؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.

السورية والجزائرية والسودانية والعراقية والمصرية واللبنانية وغيرها جديرة بدراسات متأنية. كما أن تجارب الدول الأجنبية فى التدريس بلغتها القومية لجديرة أيضاً بالدراسة. إنه لمن تقرير الواقع أن نشير إلى أن الكتب والمراجع الدراسية لمختلف التخصصات العلمية الجامعية وقبل الجامعية متوفرة من خلال جهود عربية دءوبة فى مصر وسوريا والعراق والجزائر والأردن والسودان وليبيا والسعودية ولكن هذه المواد العلمية لا تُستعمل فى غير دولها وبعضها لا يُستعمل حتى فى دولته كما هو الحال فى مصر والأردن بالنسبة لبعض تخصصات التعليم الجامعى لعدم وجود وعاء يستوعبها ولعدم وجود احتياج مجتمعى لها وباتت تلك الجهود فى أغلب وطننا العربى مهملة لا يكاد يسمع عنها أى فرد.

- **علاقة التعريب بالتنمية القومية:**

من الصعب ان نجد عدد من الدراسات الرصينة فى هذا المجال وهو أمر أراه مطلوباً أمام صانع القرار الذى يتطلب أحياناً تلك الدراسات. ورغم أن الأمر شاق لإثبات بديهيات التقدم إلا أن علينا أن نقوم بتلك الدراسات مع فائض الدراسات التى نقوم بها وعلينا فقط أن نوجهها فى هذا المجال.

---

٧١ مراد عبد القادر ومحمد يونس الحملاوى؛ أثر لغة التعليم فى المرحلة الثانوية فى استمرار التفوق فى المرحلة الجامعية: دراسة على طلبة كلية الهندسة جامعة عين شمس؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.

٧٢ محمد يونس الحملاوى؛ دراسة مقارنة لتدريس المواد العلمية باللغة العربية وبلغة أجنبية؛ المؤتمر السنوى الثامن للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية؛ القاهرة؛ ٢٢-٢٤ يناير ٢٠٠٠م.

- **الدوافع الشخصية لعدم التعريب:**

لم تتم حسب علمى دراسات متعمقة عن الدوافع الشخصية لأعضاء هيئات التدريس فى الجامعات الذين يعزفون عن التعريب ويعارضونه، سوى الأقوال المرسلة من عدم الرغبة الحقيقية فى سبر أغوار العلوم التى يتم تدريسها، والرغبة فى التمايز الاجتماعى وعدم معرفة الأبعاد القانونية لقضية التعريب. وأعتقد أن الدراسات المتعمقة فى هذا المجال جد مطلوبة. من الأمور الملفتة للنظر فى هذا السياق أن من مؤلفى الكتب ذاتهم من لا يستعمل كتبه التى ألفها أو التى ترجمها لحساب مؤسسات بعينها! أليس الحل لاستيعاب تلك الجهود هو تفعيلها فى منظومة التعريب الكامل لتعليم الأمة ولثقافتها؟! ولا يعفى هذا من مارس التعريب من الترويج لفكره وإجراء الدراسات التقويمية التى تعظم إيجابيات عمله والذى لا نكاد نجد منه إلا شراذم قليلة هنا وهناك[٧٣].

- **وقفة مع النفس:**

بدون إيمان الطليعة التى تتصدى لقضية التعريب كقضية محورية بالنسبة لأمتنا ستستمر القضية فى الحلقة المفرغة التى تلف فيها منذ أكثر من قرن من الزمان. وحتى تستطع هذه النخبة أن تضطلع بدورها لابد لها من أن تصطلح مع نفسها من خلال تقديم الصورة الصحيحة عن أساسيات القضية حتى تكون مثالاً وقدوة متحركة متميزة فى مختلف المجالات. وهذا الأمر على شموليته واتساعه يتضمن عدة واجبات أساسية هينة لابد منها حتى يمكن لجهود التعريب أن تؤتى ثمارها وتتضمن هذه الأمور تميز من يتصدى للقضية علمياً،

---

٧٣ محمد يونس الحملاوى ومحمد هيثم الخياط؛ كفاءة التعليم الطبى من خلال المؤشرات الصحية؛ ندوة تعريب التعليم الطبى: تعظيم الإيجابيات وتلافى الثغرات؛ القاهرة؛ ٨-١٠ نوفمبر ١٩٩٩م

ومداومة استعماله للعربية الفصحى فى الحديث سواء فى المؤسسات اللغوية أم فى مختلف مناحى الحياة العامة. كما تتضمن هذه الأمور عدم التحيز لمصطلح أو رمز أو رسم رقم بناء على توجه غير علمى سواء أكان هذا التوجه شخصى أم نتيجة ظروف محلية أم لأسباب أخرى. ومما يلزم ملاحظته أيضاً عدم تمكن الكثيرين من الاستفادة من تقنيات الحواسب التى بين أيدينا فى المراجعة اللغوية لكافة مطبوعاتنا ناهيك عن المشاركة فى إنتاجها. ولا يفوتنا أن نشير إلى قضية النشر العلمى التى نادراً ما تغفلها الدراسات وتعتبر النشر العلمى باللغة الأجنبية قضية مسلم بها وهو أمر يعنى أن نتائج الدراسات إن صحت تذهب لغير بنى جلدتنا ولا يستفيد منها مجتمعنا. ولنتساءل أيلزم أخذ البعد اللغوى فى ممارساتنا فى مختلف أوجه الحياة وربطه بالولاء وبالانتماء الذى لا ينفصم عن اللغة؟ إن تلك الوقفة مع النفس لمفتاح أساسى لكل أسباب وعناصر قضية التعريب. إن القضية بداية هى قضية ولاء، فهل لنا أن نضعها فى إطارها الصحيح[٧٤].

- **أمن خطوة تالية؟:**

كثيراً ما يتردد مصطلح القرار السياسى وهو أمر مرغوب إن أتى؟! ولكن انتظاره من عديد من أساتذة الجامعات هو ثقب فى جدار الفكر العربى، لأنه فى هذه الحالة لا يعرف مسئولياته قبل أن يعرف أنه قيمة فى حد ذاته؛ أنفقت عليه أمته الكثير؛ وحينما أتى الوقت ليعطى انتظر التعليمات وتعلل بالأعذار؟! لقد توقفت الكثير من الدراسات عند هذا المطلب ولكن لم يتم إلا النادر من الدراسات حول دفع القضية فى غياب القرار السياسى مع العلم بأن جميع دساتير

٧٤ محمد يونس الحملاوى ؛ الولاء والنسق العلمى للتفكير؛ المؤتمر العلمى الثانى عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس؛ القاهرة؛ ٢٥-٢٦ يوليو ٢٠٠٠م.

الدول العربية وقوانينها تنص على أن الدراسة باللغة العربية. قضية التعريب رغم أهميتها تتطلب الإخلاص فى بذل الجهد من القلة المؤمنة بها بالإضافة إلى تجسيدها لمعانى القدوة المفتقدة فى أغلب أمورنا والتى لها فعل السحر فى النفوس. كما أن قيام أساتذة الجامعات بتعريب التعليم الجامعى لخطوة جد مطلوبة وأساسية للنهوض ليس فقط بالتعليم العالى ذاته بل لدفع قضية التعريب خطوات إلى الأمام[٧٥] حتى لا تبقى القضية داخل جدران المحافل العلمية بل لتخرج قوية؛ حتى ولو كان ذلك من قبل القلة؛ إلى أرض الواقع.

كما يلزم فيما أرى أن يتم التنسيق بين مختلف الجهود فى مجال تعريب التعليم وتعريب الحياة العامة للتصدى لمختلف سلبيات الأعمال المضادة مثل ما يقوم به البعض من إلغاء للحرف العربى فى مؤسسات التعليم وهو ما قامت به الصومال منذ سنوات وما قامت به فرنسا هذا العام[٧٦] حيث ألغت اللغة العربية الفصحى من مختلف معاهدها العلمية بحجة أنها لغة ميتة، وأخلت مكانها لتحتله اللهجات الشامية والمصرية والمغربية وغيرها على حد زعمها واستعملت لهذه اللهجات الحرف اللاتينى وهو أمر لم يتم التصدى له من قبل أية جهة لغوية عربية للأسف. ومن الآليات التى يلزم دراستها بغية إطلاع المستفيدين الحقيقيين من قضية التعريب؛ وهم الذين ينخرطون فى سلك التعليم وأولياء أمورهم؛ على مختلف جوانب القضية نرى استغلال فرص الإعلام عن جوانب القضية بما فيها إصدار المجلات والنشرات الثقافية[٧٧]. إن

---

٧٥ محمد يونس الحملاوى؛ نحو رؤية عملية لبعض جوانب قضية تعريب التعليم العالى؛ ندوة المسئولين عن تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى؛ الخرطوم؛ ١٩-٢١ أكتوبر ١٩٩٨م.

٧٦ المحرر؛ التعريب فى الجزائر؛ مجلة الهلال؛ القاهرة؛ عدد مايو ٢٠٠٠م.

٧٧ رسالة التعريب؛ الجمعية المصرية لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ العدد الأول؛ سبتمبر ٢٠٠٠م.

الركون إلى الدعة فى عدم بحث أساسيات قضية التعريب والتغلب عليها يوقع من يتصدون للقضية فى نفس الخندق مع معاؤضيهم وهو ما لا يرضونه، ولكن لا سبيل للفكاك من هذا الموقف سوى التعامل بواقعية وعلمية مع مختلف القضايا الفرعية والجوانب المتعلقة بتعريب التعليم والثقافة ووسائل الحياة العامة التى كافحنا من أجله منذ أكثر من قرن من الزمان بكثير من النكسات وقليل من النجاح. فهل لنا مع أنفسنا وقفة تصحح الأمور وتعيد لأمتنا وجهاً غاب عنها قروناً؟

١٢. ما العمل؟:

هل تعريب العلوم هو فقط محرك لمياه المجتمع الآسنة، أم أنه إعلام عن الرغبة فى إصلاح مسار حياتنا التنموية من خلال اللغة؟، أم أن تعريب العلوم هو تعريب للأمة ذاتها من خلال ثقافتها وعلومها وكل ما تقع عليه أيدينا وأعيننا وأسماعنا[٧٨]؟

ما أكثر قضايانا التى هى فى جوهرها أوضح من أن تتطلب ما بُذِلَ فيها من جهد ومن أوضح تلك القضايا قضية التعريب التى أوصلنا فيها غياب الرؤية الشاملة وغياب القرار الحازم إلى أن نتخيل أنها أكبر من أن تُحَل كغيرها من قضايانا المعاصرة، التى لا نكاد نبدأ فى فهم قضية منها إلا وتوهمنا أن حلها أكبر من همم الرجال! ألم يقل شاعرنا العربى:

قل لمن رام المعالى أنها بنت العمل

٧٨ محمد يونس الحملاوى؛ تعريب الأمة؛ الندوة الأولى حول تعريب التعليم الهندسى؛ القاهرة؛ ٥-٦ أبريل، ١٩٩٥م

فلا مفر إذاً من بذل الجهد مهما كان. وأول الجهد أن نحصى عتادنا ونبصر أعدائنا. فعلى الجانب الإيجابى يقف عدد من المؤمنين بقضية التعريب والمتحمسين لها فعلاً وقولاً وهم قبل هذا يطبقون ما ينادون به على أنفسهم أولاً. ثم نجد مجموعة ممن غاب عن وعيهم ثوابت الأمة ووجدوا فى ثوب المستعمر لباس لهم وقناع ينظرون من خلاله لقضايا أمتنا، وهؤلاء يلبسون أى ثوب ويتلونون بأى لون لينفثوا سمومهم فى كيان المجتمع، تحت دعاوى كثيرة: ظاهرة أحياناً ومستترة غالباً؛ علَّهم يستطيعون أن ينخروا فى جسد العربية ليجهزوا عليها فى مرحلة تالية. أما أصحاب المصلحة الحقيقية فأغلبهم للأسف صامتون حيث لم تعرض عليهم القضية مطلقاً، ناهيك عن تكامل الطرح بكل أبعاده، وإلا لكان لهم رأى مؤيد للقضية فى أغلب أبعادها على الأقل. وهؤلاء هم الكتلة التى بتحريكها تندفع القضية لتأخذ مكانها الصحيح فى خريطة التنمية. فهذة الكتلة المُغَرَر بها تضطر لأن تتقبل تعليم أجنبى أحياناً وتعليم متدن غالباً؛ حيث تم خلط الحقائق أمامها؛ بدلاً من إعلامها بحقها فى الحصول على تعليم حقيقى ومتميز .هذه الجموع الطيبة من أبناء شعبنا من حقها علينا أن نعرض عليها حقائق القضية بقوة ووضوح إعمالاً لحق الأمة فى أن تبصر عن وعى حقائق وجودها وارتباط لغتها بهويتها. ولنتذكر قول الرئيس الجزائرى هوارى بومدين "تتخذ قرار التعريب قراراً نهائياً لا رجعة فيه ثم نناقش كيف وبأى الوسائل والمراحل". أليس الخيار بين اللغة الوطنية وأى لغة أجنبية كلغة حياة وتعامل وتعليم أمر غير مطروح للنقاش؟ أم أنه يمكن أن تكون هوية الأمة خيار له بدائل؟ وليس هذا دعوة لنبذ تعلم اللغات الأجنبية فهذا أمر غير مطروح أيضاً. إن من حقنا أن نتلقى تعليماً متميزاً بالعربية وتَعَلُماً للغات الأجنبية بصورة متميزة فى ذات الوقت. إن مفردات قضية التعريب هى ذاتها مفردات قضية الانتماء وقضية التنمية إن نحن تعاملنا مع القضية

بطريقة موضوعية وإن نحن تناولنا بطريقة علمية تطويع التقنيات الحديثة لصالح اللغة وليس العكس. ولنتذكر أن الطريق ليس ورد ياً وليس شائكاً لمن آمن بحق أمتنا فى أن تتبوأ مكانها الذى احتلته ردحاً طويلاً من الزمن وآن لأبنائها أن يبذلوا الجهد ليرفعونها إليه. أرانى متذكراً قول شاعرنا أحمد شوقى:

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركاباً

دعونا ننظر فى واقعنا الأليم علَّنا ندرك أن قضية التعريب هى من أساسيات نهضة أمتنا التى لا نفتأ نبذل الجهد من أجلها. إن نحن نادينا بالتوحد العربى فعلينا أن ندرك أن تعريب العلم وتعريب التعليم هو أحد الأساسيات التى نرتكز عليها، وإلا سنجد المصطلحات إنجليزية فى بعض الأقطار وفرنسية فى البعض الآخر. وليس هذا لَسَبب جوهرى بل هو لَسَبب مخز أن يكون قد أصابنا الاحتلال فى صميم تفكيرنا ليقسِّم الدول العربية إلى فريقين ليسهل بعدها تقسيمهما فى تفاعل متسلسل حتى يفنى الجسد العربى كله. ولن أضيف جديداً إن قلت أن أى فرد لا يمكنه أن يُبدع إلا بلغته، ولن يمكن للمجتمع ككل أن يُبدع إلا بلغة واحدة. فالعلم ليس صنعة العلماء وحدهم بل يجب أن يكون أسلوب ونمط تفكير المجتمع ككل. ولننظر إلى أسماء العلماء والمخترعين على مر العصور لندرك ذلك. وليس هذا مجال بحث تاريخى بل الواقع أيضاً يؤكد أن الكثير من الأفكار والإضافات الحديثة تأتى من تفاعل أكثر من علم وأكثر من عالم مع بعضهم البعض. ولن يمكن لهذه المنظومة أن تُأتى ثمارها إلا من خلال لغة واحدة

يفكر بها الإنسان ويتعلم بها ويتفاعل مع مجتمعه بها. وإلا تحول الفرد إلى منفذ للتعليمات يدور فى مطحنة الوقت لنزداد تخلفاً وليزداد الآخرين تقدماً.

لست فى مجال إيضاح أهمية التعريب إلا أننى أسوق موقفاً كثيراً ما يصادفنا وهو الاختيار بين قراءة كتاب فى تخصصنا بالعربية ونفس الكتاب بلغة أجنبية ولن أتساءل أيهما سنختار؟ ولكن المهم ماذا يحدث لو لم يكن الكتاب فى تخصصنا؟ والإجابة بكل تأكيد تُوَضِح لماذا يراد بنا أن نبتعد عن جذور العلم وعن الإدراك الحقيقى للكليات لنتحول جميعاً إلى موظفين أو إلى جرذان فى حقول التجارب لها دور محدد فقط مطلوب منها أن تُحسن القيام به لمصلحة العالم المبدع المفكر. أما لنا أن نكون نحن العلماء المفكرين المبدعين؟ أما لنا أن نُحَوِل مجتمعنا إلى مجتمع عالم مفكر مبدع يحافظ على ثوابت الأمة ولغتها ويدفعها للأمام حتى نزيل من العلم غربته ونعيد له وجهه العربى الذى كان مشرقاً يوماً ما.

أعلينا أن نهتم بتوعية جموع شعبنا بما يحاك بنا وبلغتنا وليكن لنا فى شعب نهض بلغته من القبور وجعلها وعاءاً لحضارته العبرة؟ وما بالنا ونحن العرب نتكلم أقدم لغة حية، مازلنا نتردد فى اتخاذ القرار؟! فأحياناً ننتظر قراراً وأحياناً نتعلل بالبصيرة وأحياناً نتلمس السراب، رغم أننا أصحاب المسئولية الحقيقية فى إنهاض بلادنا. أليس من واجبنا أن ندفع وطننا إلى الأمام؟ ألا يستتبع هذا ألا يكون شاغلنا الشاغل هو الانتظار لحين صدور أى قرار من غيرنا، لندفع به أمتنا إلى موقع لنا به معها الفخار؟ ألا ندرى أن القرار المؤيد للتعريب قد صدر من جل المجالس التشريعية فى أمتنا، فما بالنا ننتظر أن نُجبَر على التنفيذ؟! ألنا أن نبدأ بأنفسنا؟

هل يمكن أن يخلق تعريب العلوم احتياجاً عملياً للغة يتضافر مع التوجه القومى ولا يعارضه! وهل يمكن لنا أن نعتبر تفعيل دور اللغة القومية أحد مقومات الولاء لا الانتماء؟! ذلك هو لب القضية! هل يمكن أن يحدث هذا وواقع الأمر يقول أنه لا يوجد بحث واحد يعضد استخدام لغة غير اللغة القومية فى التعليم فى مقابل العديد من البحوث التى تؤكد أولى بديهيات التعلم وهى التعلم باللغة القومية. وهل يمكن أن يصبح تعريب العلوم مظلة قومية يندرج تحتها مختلف أوجه ممارساتنا اللغوية حيث توظيف اللغة فى منظومة المجتمع بأسلوب عملى علمى يجب أن نغذيه بالتقييم المستمر لتعظيم الإيجابيات وتلافى الثغرات. وهل أصبحت الممارسات اللغوية الخاطئة، منطقية لأن اللغة مهمشة فى التعليم والإنتاج؟!

وهل يمكن لنا أن نع أن جهداً مطلوباً فى تعليم العربية الفصحى لمن يتشايع للعربية بات جد مطلوب؟ ولنحدد بأى شىء يمكن أن نوصم كل من يقف ضد تعريب الأمة ونحن لم نقدم له القضية بأسلوب مقنع؟

هل يتخفى البعض خلف اللغة كى لا يتفاعل معه طلبته وسامعيه فيظهر القصور؟! وهل أضافت أية حضارة للبشرية أو لنفسها بغير لغتها قديماً او حديثاً؟ وهل استطعت أن أشير إلى أن اللغة ذلك البعض الغائب من منظومة حياتنا بات لنا أن نفعله فى منظومة التنمية؟!

إن تعريب لغة تدريس العلوم فى بلاد الوطن العربى عنصر جوهرى فى منظومة تنميتها البشرية والقومية، وخطوة أساسية فى تأصيل العلم والأسلوب العلمى فى

التفكير والسلوك، وتنمية ملكة الابتكار والإبداع. وهذا كفيل، مع ما فطرت عليه أمتنا من إيمان وقيم أخلاقية رفيعة، بأن يمكنها من التمسك بهويتها التى تتهددها دعوات العولمة؛ فضلاً عن خدمة اللغة العربية نفسها وتجديد حيويتها بحسن توظيفها فى قضايا الحياة المعاصرة. إن الاعتراضات التى تواجه قضية تعريب العلوم عند الكثيرين تنبع من حاجز انفسى متوهم أو عدم إلمام كامل بجوانبها المختلفة؛ ومن ثَمَّ ألا يكون على الأفراد المهتمين بقضية تعريب لغة العلم أن يضاعفوا جهودهم الدءوب لتحقيق رسالتهم، وأن يعوا أن البدء الفعلى بتعريب تدريس العلم هو الذى سوف يذلل العقبات، وأن يعمل كل منهم، فى حدود إمكاناته الشخصية، أو فى حدود مسؤولياته المباشرة، على تحقيق أى قدر مستطاع من التعريب فيما يدرس أو يكتب، أو يشرف عليه من رسائل جامعية، وعلى الدعوة لتعريب تدريس العلوم بالإقناع الموضوعى وتفنيد الاعتراضات التى تثار ضده، وأن يبذلوا جهدهم فى تعريب أوجه الحياة العامة والعلمية داخل مؤسساتهم ومعاهدهم، وأن يدعوا لهذه القضية بالإقناع الموضوعى وتنفيذ الاعتراضات[٧٩]؟

ولنا أن نتذكر أن التعريب عنصر مُحرك وفاعل فى وضع أمور الأمة اللغوية والتنموية فى طريق صحيح يتفاعل من خلاله مختلف أفراده ومؤسساته ولكنه يتطلب يقظة تامة فى التعامل مع آلياته من ترجمة وتأليف على مختلف المستويات ومن توليد للمصطلحات ومن تصحيح للغة الكثير من رواده بعدما تفلتت من بين أيديهم دقائق لغتهم وقبل هذا تفعيل لتلك اللغة فى منظومة الحياة حتى لا تذهب محاولات الحفاظ على لغتنا العربية أدراج الرياح. ألنا أن نع ما

٧٩ توصيات المؤتمر السنوى الثامن لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ٢٠-٢١ مارس ٢٠٠٢م

يحاك لنا ويروجه البعض منَّا بخصوص أرقامنا العربية الأصيلة من دس بالباطل لأفكار تقوض بنيان لغتنا العربية؟! ألا يمكن أن يكون تعريب العلوم هو القاطرة للنهوض بأمتنا تنموياً وللنهوض فى ذات الوقت بلغتنا العربية رمز هويتنا؟

١٣. كلمة أ.د. محمد يونس الحملاوى فى حفل توزيع جوائز المسابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

السيد الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف

السيد المستشار حسام عبد العظيم رئيس هيئة قضايا الدولة وناظر الوقف

السيد الأستاذ الدكتور محمد شوقى الفنجرى صاحب الوقفية التى نجتمع فى ظلالها اليوم

السيد المستشار محمد بدر المنياوى

سيداتى سادتى

إنه لشرف لى أن أتحدث بين أيديكم عن النقاط الأساسية التى دار حولها بحثى بعنوان "تعريب العلوم سبيل عملى للنهوض بممارستنا اللغوية".

كثر الحديث عن سبل النهوض بممارستنا اللغوية ورغم ذلك ورغم كل ما يُبذَل تتدنى هذه الممارسات. وفى اعتقادى أنه توجد حلقة مفقودة فى هذا الأمر وهى أننا نتحدث باستمرار عن قضايا لغوية بحتة دون أن نضع تلك الممارسات فى منظومة التنمية. وبالنظر إلى تدنى معدل التنمية فى مجتمعنا نجد أنها تحتاج إلى وعاء كفء يتفاعل من خلاله جميع أفراد المجتمع حتى يحقق المجتمع نهضته فى مختلف مجالات التنمية ومنها اللغة.

القضية الأساسية التى يمكن أن تستنهض همة الأمة بكاملها هى إيجاد وعاء لغوى واحد يتفاعل من خلاله مختلف أفراد المجتمع وتصب فيه مختلف مناشط الأمة؛ هى قضية تعريب العلوم التى هى وعاء عملى يشكل قضية محورية تنموية بالدرجة الأولى.

كلنا نعلم ما وصل إليه الأمر من تهميش للغة فى حياتنا العامة وفى تعليمنا وفى ثقافتنا فى القرنين الماضيين منذ بدء الاحتلال البريطانى لمصر، ونعلم كذلك محاولات تشويه شكل الحرف والرقم والرمز العربى؛ رغم أننا كعرب أول من أدخل الرمز العلمى فى العلم.

من وجهة نظرى، إن تعريب العلوم قضية محورية تستهدف تعبئة همة الأمة بكاملها. وللقضية عدة محاور منها الترجمة ومنها المصطلح ومنها شكل الحرف العربى ومنها شكل الرقم العربى ومنها تعريب التعليم الجامعى وتعريب التعليم قبل الجامعى. إن من الأمور التى تتوهمها الغالبية أن التعليم بلغات أجنبية يؤدى إلى التفوق. لقد أثبتت الدراسات التى قمت بها مع بعض زملائى الأفاضل على طلبة بعض كليات القمة من هندسة وطب وصيدلة وحاسبات وعلوم بالإضافة إلى الدراسات التى تمت على طلبة المرحلة الإعدادية فى مرحلة التعليم الأساسى، أن الحقيقة تكمن فى عكس هذه المقولة. لقد أثبتت النتائج أن التفوق من نصيب الطلبة الذين درسوا المواد العلمية كالرياضيات والكيمياء والأحياء والدراسات باللغة العربية على عكس ما يبثه الإعلام وعلى عكس ما نسمعه صباح مساء من أن التعليم باللغة الأجنبية يؤدى إلى التفوق. وهنا لابد من أن نتساءل: إذا كان التفوق وإذا كانت الكفاءة مرتبطة بالتعليم باللغة العربية فلماذا هذا الإنفاق غير المحدود من المال العام على المدارس التجريبية ومن المال الخاص على مدارس اللغات؟ ألا يضع هذا العديد من علامات الاستفهام على الهدف من إنشاء بل والتوسع فى تلك المدارس؟ وحتى نضع اللغة الأجنبية فى موضعها الصحيح دعونى أشير إلى أن التعليم باللغة الأجنبية ذا مردود سلبى بينما تعلم اللغات الأجنبية كلغات وليس كوعاء للعلم ذا مردود إيجابى.

فى ثنايا البحث يمكننا أن نجد بالأرقام تدنى كفاءة التعليم باللغات الأجنبية وتدنى المكون العلمى لطلبة المدارس التجريبية ومدارس اللغات وهو أمر يرتبط ارتباطاً مباشراً بكفاءة العملية التعليمية.

ولنشر إلى جزئية أخرى من جزئيات قضية التعريب وهى قضية شكل الرقم العربى الذى نستعمله فى مصر وليس الشكل المستعمل فى أوروبا. لقد قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٦م أن الأرقام الحسابية المستخدمة حالياً تبقى فى صورتها التى استقرت عليها من قرون عديدة. كما أوصى اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الذى يضم جميع مجامع اللغة العربية عام ١٩٨٧م باستعمال أرقامنا المشرقية العربية الأصيلة وزاد على ذلك دعوته بالتعريب للأرقام المشرقية فى دول المغرب العربى حيث تستعمل الأرقام الغربية. ورغم ذلك نجد أن بعض الهيئات القومية وبعض الصحف التى ترفع لواء القومية وبعض من يرفع لواء العربية يستعمل الرقم المستعمل فى أوروبا بناء على فهم قاصر لمقولة المستشرقين الذين أشاروا إلى عروبة منظومة الرقم المستعمل فى أوروبا وفهمنا نحن خطأ أنهم يقصدون شكل الرقم دون تمحيص.

والجزئية الأخرى التى أود أن أتوقف عندها هى قضية الرمز العلمى حيث نجد أن أعلى جهتين لغويتين عندنا وهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة واتحاد مجامع اللغة العربية قد أقرا استعمال الرموز العلمية العربية التى درسناها طوال سنى دراستنا وأوصيا باستعمالها. ورغم هذا نجد الرموز الأجنبية قد تسربت فى تحدٍ صارخ لهذا فى كتب الكيمياء والطبيعة فى التعليم العام الحكومى متحدية تلك القرارات رغم أننا كأمة أول من استخدم الرموز العلمية منذ القرن الثانى الهجرى أى منذ أكثر من إثنى عشر قرناً من الزمان. ولا أدرى السبب وراء تحدينا هذا لأبسط القواعد التربوية التى تربط الرمز بمدلوله بأيسر الطرق. وأشير هنا كذلك إلى المصطلح الذى لابد من ألا يكون طلسماً من الطلاسم بل لابد له من أن يشير وبسهولة إلى مدلوله العلمى بأقرب الطرق. ولا أدرى لماذا نضرب بكل تلك الجزئيات عرض الحائط ولا نفكر فيها ولا ننتبه إليها على أحسن الفروض!

دعونى أُذَكِّر بمثالين فى مقام أهمية عنصر اللغة فى منظومة المجتمع. المثال الأول حدث عام ١٩٢٥م قبل أن تنشأ دولة إسرائيل حينما أنشئوا معهد التخنيوم بحيفا وكلنا يعلم مستواه العلمى. لقد بدأت الدراسة بالمعهد وحتى الآن باللغة العبرية الميتة التى أحيوها. والمثال الثانى حدث عام ١٩٢٠م عند بدء الانتداب البريطانى على فلسطين حينما أصدروا عملة كتبوا عليها فلسطين بالعربية والإنجليزية. وعل إثر ذلك ثارت على أثرها ثائرة اليهود ولم تهدأ حتى كُتِبَ عليها بالعبرية أرض إسرائيل. أعتقد أن الرسالة عن أهمية تكوين اللغة فى الوجدان القومى قد وصلت.

وعلى المقابل نجد أن لغتنا العربية تتفلت من بين أيدينا حيث بات التعلم باللغة الأجنبية هو مناط الأمل للكثير من مثقفينا. وهذا هو لب الخطر حينما يصل هذا الاعتقاد إلى المثقفين وإلى أساتذة الجامعات الذين من المفترض أن يكونوا أول من يعطى لأنهم من المفترض أيضاً أن يكونوا صناع الرجال. لن أتحدث عما يتم على شبكة المعلومات العالمية الإنترنت وما يتم فى لافتات الشوارع وأسماء المحلات ومكاتبات وإعلانات الهيئات العامة فهذا قليل من كثير ولن يتم حله إلا من خلال جعل لغتنا العربية وعاءً للتنمية ولن تكون كذلك إلا من خلال التعليم والتنمية بلغتنا التى ترتبط بهويتنا أيما ارتباط.

دعونى أركز على أن اللغة العربية هى آخر معاقل الدفاع عن هويتنا بعد أن تكسرت الكثير من القلاع. ودعونى أذكر بأننا حينما نتحدث عن اللغة العربية فإننا نتحدث عن الأمة العربية التى لم يبق لها من رابط سوى اللغة العربية. ولن أشير إلى أن إحدى دول جامعة الدول العربية قد هجرت الحرف العربى. ولن أشير إلى أنه فى عام ١٩٩٩م كان يناقش فى الهيئة الدولية للتوحيد القياسى استعمال الحروف العربية بلا نقاط وللأسف لم يعترض على ذلك الاقتراح أى مندوب عربى. ولن أشير إلى أن فرنسا فى مادة اللغة العربية التى تُدَرَس فى مدارسها للجالية العربية تستخدم العامية وتستخدم الحروف اللاتينية لكتابتها بحجة أن اللغة العربية بصورتها الفصحى لغة ميتة. ولن أشير إلى أنه فى أربعينيات القرن الميلادى المنصرم نوقش فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية.

ولن أشير إلى أن شبابنا فى ثرثرتهم على شبكة الإنترنت يكتبون العربية بحروف لاتينية وللأسف وضعت إحدى الجهات التى ترفع لواء الدفاع عن مكونات الأمة بعض القواعد لهذا الأمر فى محاولة لتقنين هذا السلوك المنحرف.

دعونى أشير إلى أن ما يحدث لا تحكمه أية منهجية للتفكير كما أنه يتعارض مع الدستور ومع القانون الذى يشير صراحة إلى أن التدريس يجب أن يكون باللغة العربية. هذا الذى نشير إليه حق لكل فرد بموجب الاتفاقيات التى وقعنا عليها ومنها اتفاقيات اليونسكو.
هل لى أن أدعو الأفراد قبل الجمعيات العلمية وقبل الهيئات الأهلية وقبل الهيئات الحكومية إلى أن يضعوا نصب أعينهم أن اللغة العربية هى إحدى مكونات هويتنا، بل أصبحت من أهم مكوناتها، التى لابد أن ننافح عنها. هل من طليعة تتصدى لقضية التعليم باللغة القومية التى نراها رؤيا العين فى مختلف الشعوب التى لها حظ من المدنية بدءاً من شعوب عدد ملايينها لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة مروراُ بشعوب يفوق تعدادها تعدادنا؟ هلا تذكرنا أن السويد التى لا يزيد عدد سكانها عن التسعة ملايين والتى لا تنتشر لغتها إلا فيها، تنتج من الكتب سنوياً أكثر من ضعف ما تنتجه جميع الدول العربية التى يتجاوز تعدادها ربع بليون نسمة! أرانى أتساءل هل سنستمر فى الدوران فى الحلقة المفرغة التى بدأت بعد سبع سنوات فقط من الاحتلال البريطانى لمصر الذى أجبرتنا على أن يكون تعليمنا بالإنجليزية؟

هل من قضية يمكننا من خلالها أن نربط بين القول والفعل فى ممارستنا أكثر من اللغة؟ هل من قضية يمكن أن ترتبط مختلف جزئياتها بممارستنا اليومية سوى اللغة؟ من اليسير على العديدين أن يلقوا خطبة عصماء عن التنمية ولكن من الصعب على العديدين أن يطبقوا ما ينادون به. ألا يجب علينا حينما نتصدى لقضية اللغة كوعاء للتنمية أن تنضبط ممارساتنا اللغوية سواء فى مطبوعاتنا أم فى أحاديثنا؟ لن أشير إلى عدم الدقة التى نجدها فيما يصدر من مستندات ومطبوعات من هيئات تتصدى للدفاع عن اللغة العربية ومنها أغلفة الكتب المدرسية. ولكننى أتساءل هل يمكننا أن نربط البعد اللغوى فى ممارساتنا بالولاء لا بالانتماء؟ ختاماً هل من أفراد وهل من هيئات تضع قضية تعريب العلوم فى موضعها الحقيقى من حيث

كونها قضية تنمية ينضبط من خلالها إيقاع المجتمع، ومن حيث كونها وسيلة فعالة للدفاع عن لغتنا العربية من منطلق أن لغتنا العربية هى آخر معاقل الدفاع عن هويتنا. أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٤. المراجع حسب ورودها فى النص:

- محمد يونس الحملاوى؛ الخوارزمى مؤسس علم الجبر؛ مجلة منبر الإسلام؛ القاهرة؛ السنة ٥٧؛ العدد ٧؛ رجب ١٤١٩هـ نوفمبر ١٩٩٨م
- القانون ١١٥ لسنة ١٩٥٨م بوجوب استعمال اللغة العربية فى المكاتبات واللافتات
- محمد يونس الحملاوى؛ نحو إطلالة على بعض جوانب قضية التعريب؛ سلسلة كتاب قضايا فكرية؛ الكتاب ١٧، ١٨ (لغتنا العربية فى معركة الحضارة)؛ القاهرة؛ مايو ١٩٩٧م
- محمد يونس الحملاوى؛ تعريب العلوم والثقافة؛ منتدى المثقف العربى؛ القاهرة؛ ٥ أغسطس ٢٠٠١م
- محمد يونس الحملاوى ؛ أزمة المصطلح فى الإعلام العلمى؛ الدورة التدريبية للمحررين العلميين العرب؛ القاهرة؛ ٣١ مارس – ٤ أبريل ٢٠٠١م
- أحمد شفيق الخطيب؛ تعريب العلوم – القضية؛ مكتبة لبنان؛ بيروت؛ ١٩٩٤م
- محمد يونس الحملاوى؛ رموز الكيمياء؛ مجلة عالم الكيمياء؛ العدد الأول؛ أكتوبر ١٩٩٦م
- محمد يونس الحملاوى؛ العدل أول معطيات النهضة الإسلامية؛ المؤتمر الدولى السادس للفلسفة الإسلامية؛ القاهرة؛ ١-٢ إبريل ٢٠٠١م
- محمد يونس الحملاوى؛ علماء المسلمين: هل من دور لهم؟؛ المؤتمر الدولى عن المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز: الماضى والحاضر والمستقبل؛ القاهرة؛ ٢٨-٣٠ سبتمبر ١٩٩٣م
- تحية عبد العزيز إسماعيل؛ من غيب اللغة والتاريخ؛ مطابع الأهرام؛ القاهرة؛ ١٩٩٥م

- تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٩/٢٠٠٠؛ البنك الدولى للإنشاء والتعمير؛ واشنطن؛ الولايات المتحدة الأمريكية؛٢٠٠٠م
- محمد يونس الحملاوى؛ اللغة كعنصر فاعل فى تعليم العلوم؛ مؤتمر استعمال الحاسوب فى تعليم الفيزياء؛ القاهرة؛ ٢٦-٢٨ فبراير ٢٠٠٠م
- تيسير الكتابة العربية، مؤتمر المجمع سنة ١٩٤٤، مجمع فؤاد الأول للغة العربية؛ المطبعة الأميرية؛ القاهرة، ص ٧٨، ١٩٤٦م
- محمد جابر الأنصارى؛ تجديد النهضة بأكتشاف الذات ونقدها؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ ببيروت؛ الطبعة الأولى، ص ٧١٦، ١٩٩٢م
- محمد يونس الحملاوى؛ اللغة: البعد الغائب فى منظومة حاضرنا؛ المؤتمر السنوى الثالث لجمعية لسان العرب؛ القاهرة؛ ١٦-١٧ نوفمبر ١٩٩٦م
- محمود فهمى حجازى؛ تعريب التعليم الجامعى؛ ندوة مقومات التدريس الجامعى باللغة العربية؛ القاهرة؛ ١٣ أبريل ١٩٩٤م
- محمد يونس الحملاوى؛ جدوى ومحاذير تعريب الألفاظ والمصطلحات بدلاً من ترجمتها؛ الندوة الدولية السادسة للأدب المقارن؛ القاهرة؛ ٢١-٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م
- محمد يونس الحملاوى؛ تعريب العلوم والارتقاء الحضارى والعولمة؛ المؤتمر الدولى للدراسات الإنسانية والارتقاء الحضارى فى عصر العولمة؛ القاهرة؛ ١٣-١٥ نوفمبر ٢٠٠٠م
- محمد يونس الحملاوى؛ توطين التقنية (التكنولوجيا)؛ ندوة آفاق الصناعة المصرية فى مدخل الألفية الثالثة؛ القاهرة؛ ١٥ نوفمبر ١٩٩٩م.
- محمد يونس الحملاوى؛ نحو فلسفة هندسية لتطوير التعليم الهندسى؛المؤتمر الدولى الثالث للتعليم الهندسى؛ القاهرة؛ ١٤-١٨ نوفمبر ١٩٩٤م.
- مراد عبد القادر ومحمد يونس الحملاوى؛ أثر لغة التعليم فى المرحلة الثانوية فى استمرار التفوق فى المرحلة الجامعية: دراسة على طلبة كلية الهندسة جامعة عين شمس؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.

- محمد يونس الحملاوى؛ اللغة كعنصر فاعل فى تعليم العلوم؛ مؤتمر استعمال الحاسوب فى تعليم الفيزياء؛ القاهرة؛ ٢٦-٢٨ فبراير ٢٠٠٠م.
- محمد يونس الحملاوى ؛ تأثير لغة التعليم فى تفوق الطلاب فى المرحلة الإعدادية؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ الأرقام الهندعربية، دراسة مقارنة: التاريخ، السمات، الاستخدام، التقنية؛ المؤتمر الدولى السادس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٣-٥ سبتمبر ١٩٩٦م.
- توصيات ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ الأرقام الهندعربية، دراسة مقارنة: التاريخ، السمات، الاستخدام، التقنية؛ المؤتمر الدولى السادس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٣-٥ سبتمبر ١٩٩٦م.
- توصيات ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.
- محمد بن موسى الخوارزمى؛ الجبر والمقابلة؛ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر؛ القاهرة؛ ١٩٦٨م.
- لجنة الرياضة؛ مجمع اللغة العربية؛ الدورة الحادية والأربعون؛ القاهرة؛ ١٩٧٤-١٩٧٥م.
- بردية براءة ذمة مالية؛ مجموعة الأرشيدوق راينر؛ فينا؛ النمسا؛ ٢٦٠ هجرية.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ حول استعمال الأرقام العربية (الغبارية) الأسس وطريقة التنفيذ العملى؛ مجلة شئون عربية؛ أكتوبر ١٩٨٣م.
- موريس شربل؛ الرياضيات فى الحضارة الإسلامية؛ جروس برس؛ بيروت؛ ١٩٨٨م.
- هزاع بن عيد الشمرى؛ الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربى، دار أجا؛ الرياض؛ ١٤٢٠هـ.

- قاسم على سعد؛ الأرقام العربية: تاريخها وأصالتها وما استعمله المحدثون وغيرهم منها؛ مجلة الأحمدية؛ العدد ٢، ٣؛ دبى؛ جمادى الأولى ١٤١٩هـ ، محرم ١٤٢٠هـ.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ استعمال الأرقام العربية المشرقية فى تراثنا العلمى؛ المؤتمر السنوى الرابع لجمعية لسان العرب؛ القاهرة؛ ١٥-١٦ نوفمبر ١٩٩٧م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تجانس شكلَى منظومة الأرقام العربية مع أشكال الحروف العربية وأشكال حروف لغات أخرى؛ المؤتمر الثانى لهندسة اللغة؛ القاهرة؛ ١٨ أبريل ١٩٩٩م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تجانس الأرقام الهندعربية مع أشكال حروف الخط العربى؛ المؤتمر الدولى السابع عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٢-٤ سبتمبر ١٩٩٧م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تجانس الأرقام الهندعربية مع أشكال الحروف العربية وأشكال حروف لغات أخرى؛ ندوة الأرقام ومكانتها فى قضية التعريب؛ مجمع اللغة العربية؛ القاهرة؛ ٢٠ فبراير ١٩٩٧م.
- محمد يونس الحملاوى؛ أرقامنا العربية: التاريخ والاستعمال والانتماء والكفاءة؛ ندوة أرقامنا العربية: حقائق وأوهام؛ القاهرة؛ ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٠م.
- محمود فهمى حجازى ومحمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ أرقامنا العربية: الأرقام المشرقية والأرقام المغربية؛ المؤتمر السنوى الثانى لتعريب العلوم؛ القاهرة ٢٠-٢١ مارس ١٩٩٦م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ قياس مدى التوافق الشكلى لفئتى الأرقام الهندعربية مع منظومة الكتابة العربية؛ المؤتمر الدولى السادس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ٣-٥ سبتمبر ١٩٩٦م.
- محمد يسرى النحاس ومحمد يونس الحملاوى؛ قياس درجة التشابه فى مجموعتى الأرقام الهندعربية؛ المؤتمر الدولى الخامس عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ١٢-١٤ سبتمبر ١٩٩٥م.

- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ تفنيد الادعاءات فى قضية الرقم العربى المشرقى والمغربى؛ ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ قياسات على الصفر فى منظومة الأرقام المشرقية وعلى العلامة العشرية فى منظومة الأرقام المغربية؛ المؤتمر الدولى الثامن عن الحاسب الآلى بين النظرية والتطبيق؛ الإسكندرية ١٥-١٧ سبتمبر ١٩٩٨م.
- البنك المركزى التونسى؛ النقود التونسية عبر التاريخ؛ تونس؛ بدون تاريخ.
- مجلة البصائر؛ الجزائر؛ ١ جانفى ١٩٣٧م.
- مجلة المغرب؛ السنة الثانية، العدد ١١؛الرباط؛ يوليو ١٩٣٣م.
- سيجريد هونكة؛ شمس العرب تسطع على الغرب؛ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى؛ دار الآفاق الجديدة؛ بيروت؛ ١٩٨٦م.
- إبراهيم المويلحى؛ الأصل العربى للأرقام والصفر؛ مجلة المجمع العلمى المصرى؛ المجلد ٧٢، ٧٣؛ القاهرة ١٩٩٤م.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ حول استعمال الأرقام العربية (الغبارية) الأسس وطريقة التنفيذ العملى؛ مجلة شئون عربية؛ أكتوبر ١٩٨٣م.
- نجيب الحصادى؛ تقريظ المنطق؛ جامعة قار يونس؛ بنغازى؛ ١٩٩٥م.
- محمد يونس الحملاوى؛ نحو رؤية لقضية تعريب العلوم: الكفاءة والتشريع؛ المؤتمر السنوى السابع لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ٦-٨ فبراير ٢٠٠١م
- توصيات المؤتمر السنوى الثامن لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ٢٠-٢١ مارس ٢٠٠٢م
- محمد يونس الحملاوى؛ نحو رؤية علمية لبعض مفردات قضية التعريب؛ ندوة المسئولين عن تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى؛ دمشق؛ ٩-١١ أكتوبر ٢٠٠٠م
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائى؛ تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩م؛ نيويورك؛ ١٩٩٩م.

- زيغريد هونكة؛ شمس العرب تسطع على الغرب؛ دار الآفاق الجديدة؛ بيروت؛ ١٩٨٦م.
- محمد يونس الحملاوى؛ تعريب العلوم والثقافة؛ منتدى المثقف العربى؛ القاهرة؛ ٥ أغسطس ٢٠٠١م
- شحادة الخورى؛ المعاجم المتخصصة ودورها فى نشر المصطلح وخدمة التعريب؛ الندوة السنوية لتعريب التعليم العالى فى الجامعات العربية؛ دمشق؛ ١٨-٢٠ ديسمبر ١٩٩٥م.
- المعجم الطبى الموحد: إنجليزى – عربى – فرنسى؛ منظمة الصحة العالمية؛ بغداد؛ ١٩٨٣م
- الرموز والوحدات والدلالات فى اللغة العلمية العربية؛ مجمع اللغة العربية؛ القاهرة؛ مايو ١٩٨٦م.
- الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية؛ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية؛ القاهرة؛ يناير ١٩٨٧م.
- محمد يونس الحملاوى و محمد يسرى النحاس؛ ندوة الرموز ومكانتها فى قضية التعريب؛ القاهرة؛ ٢٧ فبراير ١٩٩٧م.
- توصيات ندوة الخطوات العلمية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ الجمعية المصرية لتعريب العلوم بالتعاون مع جامعة الأزهر ومجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد يسرى النحاس؛ شبهات متوهمة حول أرقامنا العربية المشرقية الأصيلة؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.
- بحث مشترك مع آخرين؛ توصيف شكل مجموعة الأرقام العربية؛ ندوة الأرقام العربية: حيثيات وأحكام؛ القاهرة؛ ٩ يناير ٢٠٠٢م
- بحث مشترك مع آخرين؛ توصيف قياسى لأشكال مجموعة الأرقام العربية؛ ندوة القياسات الهندسية فى تدعيم منظومة الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ٢٦ يناير ٢٠٠٢م

- توصيات ندوة الخطوات العملية لإقرار استخدام الأرقام العربية؛ القاهرة؛ ١ مارس ١٩٩٨م
- لطفى أيوب لطفية ويعقوب أبو حلو؛ تقييم المرحلة الأولى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى التى تتبناها مجمع اللغة العربية الأردنى؛ مجمع اللغة العربية الأردنى؛ عمان؛ ١٩٨٢م.
- محمد خيرى مقلد ومحمد يونس الحملاوى؛ دراسة تأثير لغة التعليم فى المرحلة الثانوية فى أداء الطلاب فى المرحلة الجامعية: دراسة على طلبة كلية الطب جامعة عين شمس؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.
- محمد يونس الحملاوى ؛ تأثير لغة التعليم فى تفوق الطلاب فى المرحلة الإعدادية؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.
- مراد عبد القادر ومحمد يونس الحملاوى؛ أثر لغة التعليم فى المرحلة الثانوية فى استمرار التفوق فى المرحلة الجامعية: دراسة على طلبة كلية الهندسة جامعة عين شمس؛ المؤتمر السنوى السادس لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ١١-١٣ إبريل ٢٠٠٠م.
- محمد يونس الحملاوى؛ دراسة مقارنة لتدريس المواد العلمية باللغة العربية وبلغة أجنبية؛ المؤتمر السنوى الثامن للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية؛ القاهرة؛ ٢٢-٢٤ يناير ٢٠٠٠م.
- محمد يونس الحملاوى ومحمد هيثم الخياط؛ كفاءة التعليم الطبى من خلال المؤشرات الصحية؛ ندوة تعريب التعليم الطبى: تعظيم الإيجابيات وتلافى الثغرات؛ القاهرة؛ ٨-١٠ نوفمبر ١٩٩٩م
- محمد يونس الحملاوى ؛ الولاء والنسق العلمى للتفكير؛ المؤتمر العلمى الثانى عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس؛ القاهرة؛ ٢٥-٢٦ يوليو ٢٠٠٠م.
- محمد يونس الحملاوى؛ نحو رؤية عملية لبعض جوانب قضية تعريب التعليم العالى؛ ندوة المسئولين عن تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى؛ الخرطوم؛ ١٩-٢١ أكتوبر ١٩٩٨م.

- المحرر؛ التعريب فى الجزائر؛ مجلة الهلال؛ القاهرة؛ عدد مايو ٢٠٠٠م.
- رسالة التعريب؛ الجمعية المصرية لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ العدد الأول؛ سبتمبر ٢٠٠٠م.
- محمد يونس الحملاوى؛ تعريب الأمة؛ الندوة الأولى حول تعريب التعليم الهندسى؛ القاهرة؛ ٥-٦ أبريل، ١٩٩٥م
- توصيات المؤتمر السنوى الثامن لتعريب العلوم؛ القاهرة؛ ٢٠-٢١ مارس ٢٠٠٢م